سُفَرَاءُ الرَّسُولِ ﷺ

إلى قبائل شبه الجزيرة العربية
وإلى ملوك ورؤساء الدول حولها

تأليف

فتحي فوزي عبد المعطي الصيري

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٩٦٥٩
الترقيم الدولي: I.S.B.N
978 - 977 - 456 - 154 - 7

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع
18 شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - تليفون: 0101068135
newandalus@hotmail.com

المقدمـــــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد بن عبد الله، رسول الهداية والسلام، والدعوة إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم، وعلى أصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد..

فإذا كانت دعوات الرسل السابقين مقصورة على أقوامهم في أماكنهم وأزمانهم، فإن دعوة الإسلام دعوة عالمية للناس جميعًا: أبيضهم وأسودهم.. وأحمرهم وأصفرهم.. سادتهم وعبيدهم.. أغنيائهم وفقرائهم، مهما اختلفت لغاتهم وأجناسهم، وتباعدت أزمانهم، إنها دعوة لكل زمان ومكان.

وإذا كانت مكة هي مهد الإسلام، كانت فيها البذرة الأولى، فقد كانت يثرب (المدينة المنورة) تربة خصبة له، فيها ترعرعت ونمت شجرة الإسلام عالية، واتسع وارف ظلالها، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها.

ولأن هذه الدعوة عالمية، لم تعد مقصورة على مكة والمدينة المنورة، فقد كان على رسول الله والمسلمين معه أن ينشروها في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية وخارجها.

لذلك؛ اصطفى الرسول من صحابته سفراء له، كان يرسلهم إلى خارج المدينة المنورة، إلى القبائل المختلفة في شبة الجزيرة العربية، ثم إلى ملوك ورؤساء

الدول خارجها، يدعوهم إلى الإسلام، والاعتراف به نبيًا ورسولاً من عند الله، جاء بدين جديد، يرقى بالبشرية إلى خير لها، وإعلاء للإنسانية.

وهذا الكتاب، هو محاولة لدراسة هؤلاء السفراء، وما حققوه من نجاحات، وما لاقوه من صعوبات في مهمتهم الخالصة لوجه الله تعالى، من أجل الخير والسلام للناس جميعًا.

وقد راعيت في هذه الدراسة عدة اعتبارات، أهمها:

١- متابعة رحلة كل سفير من هؤلاء السفراء إلى القبيلة أو الدولة المرسل إليها.

٢- ترجمة وافية لحياة كل سفير من هؤلاء السفراء، فهم من خيرة صحابة الرسول، وحياتهم وسيرتهم جزء من التاريخ الإسلامي.

٣- تعريف القارئ بكل ما يرد خلال الأحداث من شخصيات وأماكن ورد ذكرها خلال الدراسة مع رسم خريطتين: الأولى توضح مناطق القبائل، والثانية توضح مواقع الدول والممالك التي اتجه إليها سفراء رسول الله.

وأرجو أن أكون قد وفقت، وأن يقيض الله للإسلام من يرعاه، ويضاعف من اتساع رقعته، ويحقق الأمن والسلام والرقي والتقدم للمسلمين جميعًا.

والله ولي التوفيق وعليه قصد السبيل

المؤلف

فتحى فوزى عبد المعطى الصيرى

الفصل الأول

الإسلام
دَعْوَة عَالَميَّة

(١)

كان مشرق الإسلام على مكة سنة ٦١٠م، حينما جاء جبريل عليه السلام إلى محمد بن عبد الله، وهو يتعبد في غار حراء، وأقرأه قوله تعالى:

- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١]

[العلق: ١ – ٥].

أخبر جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ أن الله بعثه رسولاً، يدعو إلى عبادة الله وحده.

آمن بالنبي محمد ﷺ زوجه خديجة بنت خويلد، وصديقه أبو بكر الصديق، وابن عمه الصبي علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة.

ولأن عقول كثير من أهل مكة في ذلك الوقت لم تكن مهيأة لاستقبال دعوة التوحيد الجديدة التي يدعو إليها محمد بن عبد الله، فقد كانوا قائمين على عبادة الأصنام والأوثان، آلهة آبائهم وأجدادهم.

لذلك؛ استسر الرسول دعوته، يدعو إليها الخلصاء من قومه الذين يعرفون عنه صدقه وأمانته، فازداد عدد المسلمين، حتى أمر الله رسوله بالجهر بدعوته، حين أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا

(١) سورة العلق: سورة مكية، وهي أول سورة نزلت من القرآن الكريم.

تَعْمَلُونَ﴾(1) [الشعراء: ٢١٤- ٢١٦].

يومها.. صعد الرسول جبل الصفا، ونادى في الناس:

- يا بني عبد المطلب.. يا بني عبد مناف.. يا بني مخزوم.. يا بني أسد.. يا بني زهرة.. إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي، وإني لا أملك من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله.

لكن دعوة الرسول وجدت معارضة شديدة من أهل مكة، حتى إن واحدًا من عشيرته، هو عمه أبو لهب قال له:

- تبًا لك يا محمد، ألهذا جمعتنا؟!

مع ذلك اعتنق بعض أهل مكة وخاصة العبيد الإسلام.. فتكاثر عددهم، بعد أن اتخذ الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا يلتقي فيه مع من هدى الله قلبه للإسلام.

كل يوم يزداد عدد المسلمين، رغم اعتراض سادة مكة، ثم كان إسلام حمزة بن عبد المطلب ومن بعده عمر بن الخطاب انتصارًا للإسلام وضعفًا في قوة قريش.

(٢)

تنطق صفحات تاريخ الأنبياء والرسل أن دعوة كل نبي أو رسول، كانت موجهة إلى قومه، دون غيرهم، وأنها دعوة عصره، يعقبها أنبياء ورسل آخرون في عصور أخرى.

---

(١) سورة الشعراء: سورة مكية، وترتيبها في النزول ٤٧.

فدعوة نبي الله هود، كانت موجهة إلى قومه.. قوم عاد الذين كانوا يسكنون منطقة الأحقاف.

ودعوة نبي الله صالح، كانت موجهة إلى قومه.. قوم ثمود الذين كانوا يسكنون الْحِجر.

ودعوة نبي الله شعيب ، كانت موجهة إلى قوم مدين الذين كانوا يسكنون شمال غرب شبه الجزيرة العربية.

حتى دعوة موسى عليه السلام، كانت موجهة إلى قومه بني إسرائيل في مصر وفي سيناء، بعد أن عبر بهم موسى البحر.

وكانت دعوة نبي الله عيسى عليه السلام هي إحياء لدعوة موسى في قومه بني إسرائيل في فلسطين.

صحيح أن هاتين الدعوتين: اليهودية والمسيحية قد انتشرتا بعد ذلك في أنحاء شتى من العالم.. وصلتا إلى أوربا وإفريقيا والأمريكتين، لكن بداية كل منهما، كانت مقصورة على قوم النبي الذي يدعو إليها.

لكن دعوة الإسلام.. كانت دعوة عالمية، فقد أنزل الله على رسوله الكريم قوله تعالى:

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1] [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

(١) سورة سبأ: مكية، وترتيبها في النزول ٥٨.

إِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] [الأنبياء: ١٠٧، ١٠٨].

لذلك؛ حينما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة، فرارًا من إساءات كفار قريش وتعذيبهم، وجدها الرسول فرصة، ليدعو فيها نجاشي الحبشة إلى الإسلام، وكان النجاشي معروفًا عنه حكمته، وكان جعفر بن أبي طالب سفيرًا للرسول عند النجاشي[2].

ولأن الإسلام لم يكن مقصورًا على مكة؛ لذلك خرج الرسول ذات يوم إلى الطائف، يدعو أهلها إلى الإسلام، لكنهم رفضوا دعوته، وآذوه، ولم يسلم منهم إلا عداس النصراني.

(٣)

وإذا كانت دعوة الإسلام عالمية، فهي لم تكن مقصورة على البشرية، ولكنها امتدت إلى الجن.. يؤكد هذا قوله تعالى:

- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3] [الجن: ١، ٢].

وقوله تعالى:

- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا

---

(١) سورة الأنبياء: مكية، وترتيبها في النزول ٧٣.

(٢) راجع سفارة جعفر بن أبي طالب إلى نجاشي الحبشة. إحدى قصص هذا الكتاب في الفصل الثالث ص١٥.

(٣) سورة الجن: مكية، وترتيبها في النزول: ٤٠.

أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾(١) [الأحقاف: ٢٩- ٣٢].

(٤)

ولأن الإسلام دعوة عالمية، فقد وجد الرسول ﷺ في موسم الحج فرصة لنشر دعوته خارج مكة، كان يلتقي بالحجاج، ويعرض عليهم دينه، ليكونوا إلى أقوامهم رسل دعاة إلى الإسلام.

كان هذا هو بداية الطريق إلى الإسلام في يثرب، حين بايع بعض أهل يثرب الرسول، عرفوا بعد ذلك باسم الأنصار، بايعوا الرسول على الإيمان بدعوته، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم.

ثم كانت سفارة مصعب بن عمير(٢) إلى أهل يثرب، ليفقههم في دينهم.

وهكذا؛ دخل الإسلام يثرب، التي عرفت بعد ذلك باسم (المدينة المنورة) حيث ترعرع فيها الإسلام، واتسعت مساحته، وارتفعت رايته، فجعلها الرسول عاصمة للدولة الإسلامية.

---

(١) سورة الأحقاف: مكية، وترتيبها في النزول ٦٦.
(٢) راجع سفارة مصعب بن عمير إلى أهل يثرب في الفصل الثالث من هذا الكتاب ص٢٥.

(٥)

حتى بعد أن هاجر الرسول وكثير من المسلمين إلى المدينة المنورة، كانت دعوة الله لرسوله بنشر دينه بين أهلها، وبعضهم من اليهود والنصارى، وهم أهل كتاب.

أنزل الله على رسوله قوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1] [آل عمران: ١٩، ٢٠].

من أجل ذلك.. دفع الرسول بكثير من سفرائه إلى كثير من القبائل التي تسكن شبه الجزيرة العربية، يدعون فيها قادتها وزعماءها وملوكها إلى الإسلام.

مرحلة ثانية من مراحل نشر الدعوة خارج مكة في المدينة المنورة، وانتشارها في شبه الجزيرة العربية.

أليست هذه الدعوة دعوة عالمية؟!

ولما استقرت أمور المسلمين في المدينة المنورة، بعد انتصارهم على قريش في

(١) سورة آل عمران: مدنية، وترتيبها في النزول ٨٩.

عدة معارك: بدر، وأحد، والخندق وغزوة بني قريظة وطهَّر الرسول المدينة من اليهود والمنافقين أعداء الإسلام، وكان صلح الحديبية الذي نص على هدنة لمدة عشر سنوات بين قريش والمسلمين.

لذلك بدأ الرسول يحقق عالمية الإسلام، حين بعث بكتب مع سفراء له إلى ملوك ورؤساء وأمراء الدول المجاورة في فارس والشام ومصر واليمن.. وغيرهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

فمنهم من هداه الله إلى الحق، ومنهم من بقى على كفره، ومنهم من اقتنع بالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، ولكنه آثر ملكه.

حتى شاء الله خلال فترة الخلفاء الراشدين، أن تتسع ظلال الإسلام، وأن ينتصر المسلمون في الشام ومصر والعراق وفارس على الفرس والرومان؛ لتعلو راية الإسلام.

وهكذا.. قدر الله للإسلام أن تصل دعوته في كل أنحاء العالم، في آسيا، وإفريقيا، وأوربا، والأمريكتين.

الفصل الثاني

سُفَرَاء بَعَثَهُم الرَّسُول ﷺ خلال العهد المكِّي

جَعْفَر بن أَبى طالب

سفير رسول الله ﷺ مع مُهاجِرى الحبشة

(١)

اتسعت البادية حول مكة، وتباعدت أطرافها، وافترشتها الرمال والحصباء، تلهبها أشعة الشمس الحارقة، فتجعلها أشبه برمضاء متقدة!!

هؤلاء رجال من العبيد، قذف بهم سادتهم في أتون هذه الرمضاء، تُثقل الأحجار صدورهم.. تكوي قطع الحديد المحماة جلودهم، سياط سادتهم تلهب أجسادهم.

ذلك لأن هؤلاء قد كفروا بعبادة الأصنام، وآمنوا بدعوة محمد، أنار الله قلوبهم بالهداية، فتساقط كثير منهم صرعى!!

حتى هؤلاء من رجال قريش الذين أسلموا.. أصابهم بعض ما أصاب العبيد من مذلة وقسوة وتعذيب وإهانة وعداء لهم.

ومع ذلك.. كان عدد المؤمنين بمحمد يزدادون، فيزداد رجال قريش بهم تعذيبًا.

وطال الصبر، وعز الأمان، فذهب بعض هؤلاء المؤمنين إلى رسول الله، يشكون إليه ما ينالهم من تعذيب، فنصحهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم:

- فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وإنها أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه.

(٢)

تعددت قوافل هجرة المؤمنين إلى الحبشة[١].

كثير من المسلمين هاجروا إليها، كان منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت الرسول ﷺ، وكان منهم جعفر بن أبي طالب[٢] وزوجه أسماء بنت عميس[٣].

بعث الرسول مع جعفر بكتاب إلى نجاشي الحبشة[٤]، قال له فيه:

---

(١) الحبشة: هي التي تعرف الآن باسم إثيوبيا، كانت عاصمتها أكسوم. الآن أديس أبابا، تقع شرق قارة إفريقيا، يفصلها عن بلاد الحجاز (السعودية الآن) البحر الأحمر (بحر القلزم) منها تخرج بعض منابع نهر النيل، وهي من أقدم المناطق استيطانا، كان أهلها في تلك الفترة يدينون بالمسيحية.
والتاريخ لا ينسى الصراع بين أرياط وأبرهة، حين تصارعا على حكم اليمن، وقام أبرهة بحملة إلى مكة، ليهدم الكعبة سنة ٥٧٠، فعاقبه الله ورجاله ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣- ٥].

(٢) هو جعفر بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فهو ابن عم رسول الله، كان أكبر من أخيه علي بعشر سنوات، هاجر هو وزوجه إلى الحبشة، وكان أميرًا على المؤمنين في الحبشة يتحدث عنهم إلى النجاشي، بعد عودته من الحبشة، هاجر إلى المدينة المنورة سنة ٧ هـ، كان الرسول يسميه أبا المساكين، استشهد في معركة مؤتة سنة ٨ هـ. (الإصابة ج١ ص ٣١١، طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣١).

(٣) أسماء بنت عميس بن سعد بن تيم بن الحارث بن كعب، من بني خثعم، أسلمت قبل أن يدخل الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، بعد وفاة زوجها تزوجت أبا بكر الصديق، ثم علي بن أبي طالب (طبقات ابن سعد ج١٠ ص ٢٦٥).

(٤) نجاشي الحبشة في ذلك الوقت، كان اسمه أصحمة بن أبحر، كان أبوه ملكًا على الحبشة، أعلن إخوته العصيان عليه وقاتلوه حتى يأخذوا الحكم لأولادهم، وباعوا أصحمة في السوق، فاشتراه أحد رجال يثرب، وجعله راعيًا لأغنامه قرب بدر، لكن أعمامه عادوا إليه، وأخذوه إلى الحبشة وجعلوه ملكًا عليهم (رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنًا ج٣ ص٩٩).

- بسْم الله الرّحمن الرحيم

من محمد رسول الله

إلى النجاشي ملك الحبشة

أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله ونفخ فيه من روحه كما خلق آدم بيده.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى[1].

(٣)

شعر المسلمون في جوار النجاشي بالأمن والسلام، لقد صدق الرسول فيما حدَّثهم به عن هذا الملك العظيم.

وتتابعت أفواج المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين.

أحس رجال قريش في مكة بأن موقف النجاشي خطر يتهددهم، وأن عليهم أن يفعلوا ما يستطيعون؛ ليحولوا بين هجرات المسلمين خارج مكة،

---

(١) زاد المعاد في هدى العباد لابن قيم الجوزية، فصل في كتبه ورسله ﷺ إلى الملوك، والوثائق السياسية للعهد النبوي ص٩٩.

حتى لا يشتد عودهم، وتكبر قوتهم.

لذلك؛ بعث رجال قريش إلى النجاشي برسولين هما عمرو بن العاص[١] وعبد الله بن أبي ربيعة، ليقنعا النجاشي بطرد المسلمين من بلده.

وصل القرشيان إلى الحبشة، وكان معهما هدايا من مكة، وزعاها على من لقيهما من القساوسة والرهبان، ورجال الملك.

التقى القرشيان عمرو وعبد الله بالنجاشي، وقدما له الهدايا، وقالا له:

- أيها الملك العظيم.. إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين جديد، ابتدعوه، لا نعرفه نحن، ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف مكة، لتردهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم!!، فأسلمهم إلينا، لنردهم إلى قومهم في بلادنا.

ولأن البطارقة قد أخذوا الهدايا من القرشيين، فقد أعلنوا للملك موافقتهم على ما قالاه.

كان النجاشي رجلاً حكيمًا عادلاً، ومع أنه نصراني يدين بالديانة المسيحية، إلا أنه قال لهم:

- ولا والله، لا أردهم، ولا أسلمهم إليكم، فهم جاوروني، ونزلوا في بلادي، واختاروني على من سواي، وأسألهم عما يقول هذان الرجلان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان، أسلمتهم إليهم ورددتهم إلى قومهما، وإن كانوا على غير ذلك، منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

---

(١) راجع في هذا الكتاب سفارة عمرو بن العاص بعد إسلامه إلى ملكي عمان ابني الجلندي ص١٤٨.

بهت القرشيان عمرو وعبد الله.. وأحسا بفشل مهمتهما.

(٤)

بعث النجاشي إلى المهاجرين المسلمين، ليحضروا بين يديه، وحضر أساقفة دين النجاشي اللقاء، ليكونوا شهودًا، وكذلك القرشيان.

اختار المهاجرون جعفر بن أبي طالب، ليتحدث عنهم، فيما يسأل عنه النجاشي.

سأل النجاشي جعفرًا:

- ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني؟

قال جعفر بن أبي طالب:

- أيها الملك العظيم.. كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، كنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله نوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به أحدًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدا علينا قومنا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان، ونتخلى عن عبادة الله، فلما رفضنا، قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا،

فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك.

كان النجاشي يستمع باهتمام إلى ما يقوله جعفر بن أبي طالب، والمهاجرون منصتون.

سأل النجاشي جعفرًا:

- هل معك شيء من الكتاب الذي أنزل على نبيكم؟

قال جعفر: نعم.

قال النجاشي: فاقرأه.

في أدب وتقدير قرأ جعفر قوله تعالى:

﴿كهيعص ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ١ - ٤].

شعر النجاشي بصدق ما يقرأه جعفر، فبكى، حتى تساقطت الدموع على وجنتيه، واخضلت لحيته.

وتأثر الأساقفة والبطارقة، وبكوا.

قال النجاشي لمن حوله:

- إن هذا الذي سمعناه هو الذي جاء به عيسى، وإنه ليخرج من مشكاة واحدة.

اتجه النجاشي إلى عمرو بن العاص وعبد الله بين ربيعة، وقال لهما:

- انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

هكذا كسب المهاجرون بزعامة جعفر بن أبي طالب الجولة الأولى، وخسرها رسولا قريش.

كان عمرو بن العاص مصرًا على تحقيق نصر على المهاجرين يرضي به كفار قريش، فكيف يعود إليهم خاوي الوفاض، يتوارى منهم خجلاً لفشله.

وإذا كان عبد الله بن ربيعة قد اقتنع بالرضاب من الشراب، وأن من الخير له أن يعود إلى مكة، فإن عمرو بن العاص كان له رأي آخر، فقال لعبد الله:

- غدًا سألتقي بالنجاشي، وأخبره أن المسلمين يعيبون على عيسى، لأثيره عليهم، أليس هم يدَّعون أن عيسى عبد مثل غيره من البشر؟

(٥)

فلما كان الغد، ذهب عمرو بن العاص إلى النجاشي، وقال له:

- مولاي الملك.. إن هؤلاء المسلمين يقولون في عيسى ابن مريم قولاً سيئًا.

بعث النجاشي إلى المسلمين، يتقدمهم جعفر بن أبي طالب، وسألهم:

- ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

بثبات وثقة، تقدم جعفر بن أبي طالب، وقال له:

- نقول فيه ما جاء في القرآن الكريم: إنه عبد الله ورسوله، وروح منه،

ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

اتجه النجاشي[1] إلى الرجلين القرشيين، وقال لهما:

- والله ما تجاوز عيسى ابن مريم شيئًا مما يقوله المسلمون، وهو نفس ما جاء في الإنجيل.

حاول البطارقة أن ينكروا ما قاله جعفر، لكن النجاشي رفض مناقشتهم، واتجه إلى المسلمين المهاجرين، وقال لهم:

- أنتم في جواري ما شئتم، لن أسلمكم إلى أعدائكم.

وما يملك الرجلان القرشيان عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة إلا أن ينسحبا من المجلس.. خارجْين، ليعودا إلى مكة.

(٦)

استمرت الحياة بجعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين في الحبشة، ينعمون في جوار النجاشي بالأمن والسلام.

وسعد المهاجرون ذات يوم حين انتصر رجال النجاشي على رجال من مملكته، نازعوه الحكم وتمردوا عليه، لأنه أوى المسلمين في بلده، وكان المسلمون يدعون للنجاشي بالنصر على أعدائه.. وحقق الله دعاءهم، وانتصر النجاشي.

وبقي المسلمون في الحبشة ما شاء الله لهم البقاء، ربما عاد بعضهم إلى

(١) كان النجاشي ممن لا يؤمنون بألوهية المسيح، وإنما هو بشر، رسول من عند الله.

مكة، حين علموا بإسلام عمر بن الخطاب، وقوة شوكة المسلمين، لكن آخرين استمروا ثلاثة عشر عامًا من سنة ٧ من البعثة المحمدية إلى سنة ٦ هـ حتى جاء عمرو الضمري[١] رسول النبي إلى نجاشي الحبشة، وسيكون لنا لقاء مع عمرو الضمري في سفارته إلى النجاشي.

(٧)

عاد المسلمون من الحبشة، وعاد معهم جعفر بن أبي طالب.

وحين عاد جعفر، كان الرسول في حصار خيبر، فاستقبله الرسول بحفاوة بالغة، وقبَّل ما بين عينيه.

وشاء الله أن يكون جعفر بن أبي طالب أحد القادة الثلاثة[٢] الذين قاتلوا الروم في جمادى الأولى سنة ٨ هـ في مؤتة، حيث استشهد هو ورفاقه، وكان بجسده تسع وتسعون طعنة ورمية بسهم.

وحزن رسول الله على استشهاد ابن عمه، ورآه ذات يوم في رؤية له، حيث قال: «**رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة**»[٣] ذلك لأنه قاتل، حتى قطعت يداه.

وكان الرسول كلما التقى بابنه عبد الله، سلَّم عليه، وقال له:

---

(١) راجع قصة سفارة عمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة ص ١٣٢.

(٢) كان هؤلاء القواد هم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، تناوبوا القتال واحدًا بعد الآخر حتى استشهدوا.

(٣) رواه الترمذي في السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص ٤٨٤.

- «السلام عليك يابن ذي الجناحين»[١].

رحم الله جعفر بن أبي طالب الذي عانى من قسوة وبطش رجال قريش، وأثابه الله عن الإسلام بقدر ما دافع عنه، ورفع مكانته، وحقق الأمان للمهاجرين في الحبشة، بجوار النجاشي، وكفاه فخرًا أنه استشهد في القتال؛ دفاعًا عن الإسلام، فقد يديه وروحه من أجل الحق.

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، كان يكنى أبا هاشم، أمه أسماء بنت عميس، يقال إنه ولد بأرض الحبشة، روى كثيرًا من الأحاديث عن أبويه وعمه علي بن أبي طالب، مسح رسول الله على رأسه، وقال: «اللهم اخلف جعفرًا في ولده» رواه الطبراني في جامع الأحاديث ج ٦ ص ١١٠.
كان له عند وفاة النبي عشر سنين، مات عبد الله سنة ٨٢هـ (الإصابة ج١ ص ٣٨٧).

مُصْعَبُ بن عُمَيْر

سفير الرسول إلى أهل يثرب

(١)

مسحت سمية على رأس صديقتها مليكة، وقالت لها:

- ما أطيب أريج عطرك يا مليكة!!

في دهشة، قالت مليكة:

- بل هو شذى عطرك يا صديقتي، تعلم الآلهة أنني لم أتطيب بعطر منذ البارحة.

لم يمض على الفتاتين غير قليل، حتى مرَّ عليهما فتى جميل الصورة، حسن الطلعة، مشرق الوجه، تبدو عليه مظاهر العز والثراء في هيئته وملبسه، يشع من حوله أريج عطر، قالت سمية:

- إن ما تتسمه أنفانا إنما هو عطر ذاك الفتى الذي مر علينا.

قالت مليكة: إنه ابن الثراء والعز، إنه مصعب بن عمير[1].

كان مصعب بن عمير معروفًا في مكة بابن الثراء والعز والزهو، يلبس الحضرمي من النعال، كانت أمه خناس[2] تجزل له العطاء، تنفق عليه ببذخ، فعاش حياته منعمًا في حلل السعادة والترف، وكان معروفًا بشذى عطره.

---

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، كان يكنى أبا محمد، قال عنه رسول الله ﷺ: «ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير» سماه الرسول مصعب الخير.
(طبقات ابن سعد ج٣ ص ١١٦، والإصابة ج ٣ ص ٨٥٥).

(٢) هي خناس بنت مالك، ينتهي نسبها إلى لؤي، ما خرجت قافلة من قوافل تجارة مكة إلا كان لها فيها نصيب من الربح، فكانت ذات مال وجاه وسلطان.

(٢)

أشرق الإسلام على مكة، وسمع مصعب بدعوة محمد ﷺ، حين أعلنها الرسول جهرًا من على جبل الصفا.. فكان مصعب من السابقين إلى دار الأرقم، حيث أعلن إسلامه على يد رسول الله ﷺ.

كان مصعب يدرك ما سيعانيه من أمه إذا عرفت بإسلامه، لذلك استسر إسلامه؛ يتصل بالرسول ويصلي معه سرًا، حتى رآه عثمان بن طلحة[1] يصلي، فأخبر أمه.

يا لها من صاعقة نزلت على أمه خناس.. كيف لابنها أن يترك دين آبائه، ويتبع دين محمد.. حرمت خناس ابنها مما كان يتمتع به من نعيم، خلعت عنه لباس الترف، ليحس بالفاقة. مع ذلك استمر مصعب على إيمانه، قوي العقيدة.

أوثقت خناس ابنها وحبسته وضربته، وعذبته، وحاولت أن تفتنه في دينه الجديد، يشاركها رجال قومها، تسلطوا عليه.. ومع ذلك رفض مصعب إلا أن يكون مؤمنًا بدعوة التوحيد التي ملكت قلبه وجوارحه.. لم يعبأ بحرمان أمه له من النعيم الذي كانت تحوطه به.

علم مصعب بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، فكان واحدًا منهم، فر بدينه من محبسه، وعاش في الحبشة حينًا، ثم عاد إلى مكة، ليكون بجوار رسول الله ﷺ.

---

(١) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معه مفتاح الكعبة. أسلم بعد صلح الحديبية هو وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد.

كثيرًا ما نكس الصحابة رؤوسهم حين كانوا يرونه وقد هزل جسمه، وتبدلت ثيابه، وقد قلبت له الدنيا ظهرها، فصار فقيرًا، بعيدًا عن نعيم أبويه!!

(٣)

كانت الأحداث في مكة تتتابع سريعة متلاحقة.

أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب وكثير من أهل مكة، اعترفوا بالإسلام دينًا، فارتفعت شجرة الإسلام ونمت، رغم محاولات كفار قريش.

وإذا كان الله قد شاء أن يفقد رسول الله ﷺ ناصريْه: زوجه خديجة وعمه أبا طالب، فقد كان الله برسوله رحيمًا ومؤيدًا وناصرًا له.

اعتاد الرسول- على كره من قريش- أن يدعو الحجاج من القبائل الوافدين إلى دينه في موسم الحج.

ذات عام.. لقى بعض أهل يثرب، وعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وبايعوه.. قالوا له:

- نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

قال الرسول: «**فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله. إن شاء عذبكم، وإن شاء غفر لكم**»(١).

---

(١) سنن النسائي ج٧ ص ١٦٨.

فلما عاد الأنصار إلى يثرب، كتبوا كتابًا إلى رسول الله ﷺ، أرسلوه مع واحد منهم طلبوا فيه أن يبعث إليهم رجلاً، يفقههم في الدين، ويقرئهم القرآن.

اختار الرسول مصعب بن عمير سفيرًا إلى أهل يثرب، ليقوم بهذه المهمة العظيمة.

(٤)

غادر مصعب بن عمير مكة، واتجه إلى يثرب، فنزل ضيفًا في دار أسعد بن زرارة[١]، أحد الذين حضروا البيعة الأولى.

على يد مصعب بن عمير في يثرب.. أسلم كثير من الأنصار، كان منهم أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ وكثير من الصحابة الأنصار الذين كانت لهم في صفحات الإسلام سطور مضيئة.

وشهدت دار ابن زرارة كثيرًا من أهل يثرب يأتون إليها، ويستمعون لأحاديث مصعب بن عمير، ويعلنون إسلامهم، ثم يعودون إلى قبائلهم، يدعونهم إلى الإسلام.

* * *

(١) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة، أنصاري من بني النجار، من قبيلة الخزرج، شهد العقبتين الأولى والثانية، وكان أحد النقباء الاثنى عشر في بيعة العقبة الثانية، هو أول من مات من الصحابة، حين كان النبي يبني المسجد، وقبل يوم بدر. (الإصابة ج١ ص٤٢).

عرف عن مصعب بن عمير رجاحة عقله، وحكمته، وقدرته على مواجهة المواقف بحكمة.

ذات يوم..

بينما هو في مجلس مع رجال من يثرب.. دخل عليه رجل لا يعرفه، قال له: إنه أسيد بن الحضير[1]، كان يقبض على حربته بيده، والشرر يتطاير من عينيه..

اتجه الرجل إلى مصعب، وقال له:

- أيها الرجل.. من الذي سمح لك أن تجلس هذا المجلس، وتقول ما تقوله، اعتزلنا، ولا تسفه آلهتنا.

لم يكن أسيد جاء ليستمع إلى مصعب، ولكنه جاء ليطرده.

بأدب وابتسامة علت وجه مصعب، قال له:

- إن شئت، فاجلس، واستمع، فإن رضيت أمرًا، قبلته، وإن كرهت، كف عنا ما نكره.

جلس أسيد يستمع إلى مصعب، وقد أشرق وجهه، وانبسطت أساريره، وتفتح قلبه بنور الإيمان بالله ورسوله، فقام إلى مصعب يحتضنه ويقبله، وهو يقول:

---

(١) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك من بني الأشهل، كان أبوه قائد القتال يوم بعاث، أسلم على يد مصعب بن عمير في يثرب، شهد العقبة الثانية. لم يشهد بدرًا، شهد أحدًا. توفي في شعبان سنة ٢٠هـ في عهد عمر بن الخطاب، ودفن بالبقيع. (طبقات ابن سعد ج٣ ص ٥٥٨).

- أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ثم قام، واغتسل، وصلى، ثم انطلق إلى قبيلته، يدعوهم إلى الإسلام.

وتتابع كثير من أهل يثرب، يستمعون إلى أحاديث مصعب، وما يتلوه عليهم من قرآن، يشرح لهم آياته.. حتى فشا الإسلام في كل دور يثرب. لم تبق دار إلا ودخلها الإسلام في قلوب رجالها ونسائها.

ودار الفلك دورته، وأقبل موسم الحج إلي مكة في العام التالي.

صحب مصعب كثيرًا ممن هداهم الله إلى الإيمان بالله وبرسوله محمد، فسعد الرسول بهم، ولقيهم عند العقبة[(١)] حيث بايعوه على نصرته، والوقوف بجانبه والدفاع عنه وعن الإسلام.

كانوا سبعين رجلاً وامرأتين هما: أم عمارة[(٢)] (نسيبة بنت كعب) وأسماء بنت عمرو بن عدي[(٣)].

(٥)

رغم قسوة خناس لم ينسها ابنها مصعب.. انتهز فرصة مجيئه إلى مكة في

---

(١) هي بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢م.

(٢) هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف من بني النجار. هي أخت عبد الله بن كعب، كانت زوجة لزيد بن عاصم، حضرت بيعة العقبة الثانية، وشهدت معركة أحد، ودافعت عن رسول الله، كما شهدت معاهدة الحديبية وحنينًا ويوم معركة اليمامة في مواجهة جيش مسيلمة الكذاب. (طبقات ابن سعد ج ١٠ ص ٢٨٥).

(٣) أسماء بنت عمرو بن عدي من بني غنم. كانت تكنى أم منيع. شهدت العقبة الثانية (الإصابة ج ٤ ص ٣٠٢).

موسم الحج، وسعى إلى دارها.

كان مصعب ما يزال وفيًا بأمه، رغم كفرها، وجحودها لبنوته!! كان من واجبها أن تلقاه بصدر رحب ومودة صافية، بعد غيبته الطويلة في الحبشة ويثرب، لكنها أدارت له ظهرها.. طمس الشيطان على عقلها، أظلم قلبها.. أنساها عاطفة الأمومة نحو ولدها!! قالت له:

- يا مصعب.. أما زلت على دين محمد؟ صبأت عن دين قومك، فضلت الفقر والفاقة والجوع على الثراء والنعيم من أجل من تزعم أنه نبي، تعيش غريبًا بين الحبشة مرة ويثرب مرة أخرى!!

في بنوة صادقة ومودة، قال مصعب لأمه:

- يا أماه.. إنه فرار بديني حتى لا أفتن فيه.. يا أماه.. إنني أنصحك بالدخول في الإسلام، ولعل الله يهدى أخي أبا عزيز، وينتصر به الإسلام.

بإصرار على الكفر، قالت خناس لابنها مصعب:

- وحق الثواقب، لا أدخل في دينك، ولا أتبع محمدًا، ولكني أدعك وما أنت عليه، وسأبقى على ديني.

وما يملك مصعب، وقد خذلته أمه على باطلها.. إلا أن ينسحب من دارها.

وعاد إلى أصحاب رسول الله يصحبهم مرة أخرى إلى يثرب، يمضي في مهمته التي بعثه الرسول إليها، ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

استمر عدد المسلمين في يثرب يتصاعد يومًا بعد يوم حتى ضاقت

عليهم دار أسعد بن زرارة، بعث مصعب بن عمير رسالة إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في أن يجمع المسلمين في جمعة. مع أن الرسول لم يكن جمعهم في مكة. فكتب الرسول رسالة إلى مصعب يقول له فيها:

أما بعد: فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، وإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين.

(٦)

علم مصعب بن عمير بمقدم رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر.. مهاجرين إلى يثرب[١]، فكان مصعب من بين المستقبلين لهما، سعيدًا بما حققه في مهمته، وهو ينظر إلى الوجوه المشرقة بالإسلام التي خرجت تستقبل الرسول وصاحبه بمظاهر الزينة والترحيب والمحبة.

وعندما آخى الرسول بين المسلمين، آخى بين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري[٢].

مضت الحياة في يثرب التي سماها الرسول (المدينة المنورة) على خير ما أحبه الرسول.. يتكاثر عدد المسلمين، وترتفع راية الإسلام، لقد أسس مصعب

---

(١) كانت الهجرة سنة ٦٢٢م، وهو عام بيعة العقبة الثانية.

(٢) وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بني النجار. كان يكنى أبا أيوب. شهد بيعة العقبة الثانية. حين هاجر الرسول نزل ضيفًا عليه في داره. شهد بدرًا وكثيرًا من المشاهد مع رسول الله، اشترك في فتح القسطنطينية في حروب الروم، مات بها سنة ٥٣هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان. (الإصابة ج١ ص ٥٣٣، طبقات ابن سعد ج٣ ص ٤٤٩).

الدعوة الإسلامية في المدينة، وحقق نجاح سفارته التي بعثه الرسول من أجلها.

(٧)

ثم كانت معركة بدر، وتقديرًا لشجاعة مصعب، جعله الرسول حاملاً لواء المسلمين.. يحيطه كثير من إخوانه المهاجرين، وتلامذته من الأنصار الذين أشرب الإيمان في قلوبهم على يديه.

وانجلت المعركة عن انتصار عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للكفار.

وأسر المسلمون كثيرًا من كفار قريش كان منهم أبو عزيز[1] أخو مصعب بن عمير.

حاول أبو عزيز أن يستدر عطف أخيه مصعب عليه، ولكن الإسلام لا يعرف المجاملة، وبعث أبو عزيز إلى أمه، فافتدته بأربعة آلاف درهم.

ثم كانت معركة أحد.. كان مصعب يحمل لواء المسلمين، ويقاتل بشجاعة، وهو قابض على اللواء بيده اليمنى.

أحس الأعداء بما يبذله مصعب في الاستمساك براية المسلمين، فأقبل إليه أحدهم، وضربه على يده اليمنى، فقطعها، فأمسك مصعب الراية بيده اليسرى وهو يهتف:

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2].

---

(١) كان اسمه زرارة بن عمير بن عمر بن هاشم. كان يكنى أبا عزيز، يقال إنه قتل على كفره يوم أحد، قتله رجل اسمه قزمان. (الإصابة ج٤ ص ١٧٤).

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٤٤.

لكن الأعداء، تكاثروا على مصعب، أصابوه بسهامهم، واخترقوا بالرماح صدره، فسقط شهيدًا.

وانتهت معركة أحد بخيرها وشرها.. بنصرها أولاً، ثم الهزيمة بعد ذلك.

كان على الرسول والمسلمين أن يدفنوا قتلاهم.

عندما حاول المسلمون أن يكفنوا مصعب بن عمير، كان ثوبه لا يستر جسده، إذا غطوا رأسه، بدت قدماه خارج ثوبه، وإن غطوا قدميه بدأ رأسه.

يا الله.. هذا الغني الذي كان يرفل في حلله الغالية: يكفن في ثوب قصير، فقال الرسول لأصحابه، وصور كثيرة تتراءى أمام عيونهم:

- غطوا رأسه، واجعلوا على قدميه الإذخر(١).

وحين انتهى المسلمون من دفن مصعب بن عمير، قرأ الرسول على قبره قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(٢).

***

رحم الله مصعب بن عمير، الصحابي الجليل، الذي فضل الإسلام والفقر والزهد في طعامه وملبسه على الكفر والثراء والنعيم، وجزاه الله خيرًا عما بذله من جهد في غربته، وأثابه على بذرة الإسلام التي بذرها في أرض يثرب ورعاها، فنمت شجرة عالية، وكفاه فخرًا أنه مات شهيدًا.

(١) الإذخر: نبات أخضر طيب الرائحة.
(٢) سورة الأحزاب آية: ٢٣.

الفصل الثالث

سفراء الرسول ﷺ
إلى القبائل فى شبه الجزيرة العربية

نجح الإسلام في المدينة المنورة، وترعرت شجرته عالية، واتسعت ظلاله، بعد أن انتصر المسلمون على قريش في معركة بدر وما تلاها من معارك أخرى.

ولأن دعوة الإسلام عالمية للناس كافة، وليست مقصورة على أهل مكة والمدينة المنورة.

لذلك أرسل الرسول سفراءه إلى القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية؛ يدعوهم فيها إلى الإسلام، ونبذ عبادة الأصنام.

وفي هذا الفصل، نعرض لدراسة هؤلاء السفراء والقبائل التي أرسلوا إليها، ومدى نجاح كل سفير في سفارته.

الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ

سفير الرسول إلى قبيلة دوس

(١)

عرفته منابر الشعر في سوق عكاظ[١]، ينشد شعره في بحور وقواف وأغراض شتى، عذبًا.. جزلاً.. حلو البيان، وعرفه أهل مكة سيدًا، شريفًا في قبيلته.

إنه الشاعر المبدع، رقيق المشاعر.. الطفيل بن عمرو[٢].

نشأ الطفيل في قبيلة دوس[٣] التي كانت تعبد صنمًا اسمه ذو الكفين[٤].

تعددت زيارات الطفيل لمكة، وعاش بعض أحداث الصراع الذي كان يدور رحاه بين رجال قريش ومحمد بن عبد الله، هذا النبي الذي يدعو الناس إلى عبادة إله واحد، ونبذ عبادة هذه الأصنام المتعددة.

ولأن رجال قريش كانوا يعلمون عن الطفيل رقة مشاعره، وسيادته على قبيلته، لذلك خشوا عليه أن يلتقي مع محمد، ويستمع بعض آيات قرآنه، فيؤمن به؛ فقالوا له:

---

(١) سوق عكاظ: كان من أكبر أسواق العرب في الجاهلية، كان يقع بين الطائف ونخل، تجتمع فيه القبائل عشرين يومًا في شهر شوال من كل عام، يحضره الشعراء، وينشدون ما نظموه من أشعار. (المنجد ص ٣٥٤).

(٢) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن ثعلبة بن غنم بن دوس، كان معروفًا بكرمه، ورقة مشاعره.

(٣) دوس: قبيلة كبيرة كانت تسكن المنطقة التي تقع شرق تهامة بين الطائف ونجران.

(٤) ذو الكفين: أحد الأصنام التي كانت مشهورة في شبه الجزيرة العربية، كان يعبده رجال قبيلة دوس، يشعلون المشاعل، ويطوفون حوله، وهم يدعونه الأمن والسلام والأماني، بعد إسلام قبيلة دوس، أحرق الطفيل هذا الصنم.

- يا طفيل؛ يا سيد دوس.. خير لك ألا تلتقي بمحمد، فيفتنك في دينك بسحر بيانه، فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك دعوته التي تفرق بين الأخ وأخيه، والمرء وزوجه.

لذلك سد الطفيل أذنيه بالكرسف (القطن) وتحاشى لقاء الرسول حينًا طويلاً وأبى أن يسمعه.

(٢)

دخل الطفيل المسجد الحرام ذات يوم، وقد سد أذنيه، فوجد الرسول قائمًا، فاقترب منه، ونزع الكرسف من أذنيه، وقال في نفسه: إني امرؤ لا تخفي عليَّ الأمور.. حُسنها، أو قبيحها، فلأستمعن إلى ما يقوله محمد، فإن كان فيه رشد، أخذته منه، وإن كان غير ذلك، اجتنبته.

استمع الطفيل إلى رسول الله ﷺ، وهو يقرأ سورتي المعوذتين، ثم سورة الإخلاص، ففتح الله قلبه للإيمان.

تبع الطفيل محمدًا، حتى دخل داره، وقال له:

- يا محمد.. إن قومك جاءوني، وحملوني على ألا أسمع منك، وحذروني أن ألتقي بك، وقالوا لي: كذا وكذا، وقد أبى الله إلا أن يسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض عليّ دينك.. ما تأمر به، وما تنهى عنه[1].

(١) في بعض الروايات أنه في هذا الموقف، أنزل الله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

عرض الرسول الإسلام على الطفيل، فأعلن إسلامه.

رحب الرسول ﷺ بإسلام الطفيل.

لاشك أن زعماء قريش علموا بإسلام الطفيل، فعتبوا عليه، ولاموه وعادوه.

عاد الطفيل يقول: يا رسول الله: إني راجع إلى قومي دوس، وأنا فيهم مطاع، وأنا داعيهم إلى الإسلام.

فسعد الرسول بكلمات الطفيل الذي عاد يقول:

- فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي علامة عليهم فيما أدعوهم إليه.

فدعا الرسول للطفيل، وقال:

- اللهم اجعل له آية تعينه على ما يقويه من خير.

فجعل الله في عينيه نورًا؛ لذلك كان يسمى أبا النور.

خشي الطفيل أن يظن به قومه أن هذا النور عقابًا له؛ لأنه خرج عن دينهم فحول الله النور إلى طرف سوطه، فكان ينير له في الليلة المظلمة.

(٣)

رجع الطفيل بن عمرو إلى قومه في دوس، والنور في طرف سوطه، يضيء ما حوله.

لقي الطفيل أباه، وكان شيخًا كبيرًا طاعنًا في السن، فأشاح الطفيل عنه، وقال له:

- إليك عني، فلست مني، ولست منك!!

دهش الأب مما سمع، فقال لابنه:

- ماذا تقول يا بني؟ وما الذي دفعك إلى هذا؟!

قال الطفيل:

- لقد أسلمت، واتبعت محمدًا، ولم يعد لي حاجة إلى صنمكم ذي الكفين.

وراح الطفيل يحدث أباه عما كان من أمره مع رسول الله، وأنه معروف بأمانته وصدقه، وأنه يدعوه إلى عبادة إله واحد، ونبذ عبادة هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تدري بما يدور حولها.

عند ذلك أسلم الأب ، وقال لابنه:

- فدينك هو ديني، ومحمد هو رسول الله.

وحسن إسلام الأب(١).

ثم جاءت إليه زوجته، فقال لها:

- إليك عني، فلست منك، ولست مني.

قالت الزوجة:

- وما ذلك بأبي أنت وأمي؟!

فقال لها الطفيل:

- لقد أسلمت واتبعت دين محمد، فلست تحلين لي، ولا أنا أحل لك.

(١) في بعض الروايات أن أم الطفيل رفضت الإسلام.

ففتح الله قلب الزوجة للإسلام، وقالت:

- فديني هو دينك، وأنا آمنت بمحمد رسولاً.

قال الطفيل لزوجته:

- فاعمدي إلى الماء، فاغتسلي وتطهري، وصلي لله.

ففعلت وحسن إسلامها.

ثم عرض الطفيل الإسلام على قومه من دوس، فرفضوه وعصوه، ولم يؤمن به إلا عبد ذي الشرى بن صخر (هو الذي عرف بعد ذلك باسم أبي هريرة) (١).

(٤)

عاد الطفيل بن عمرو إلى مكة، ويعلم الله ما في نفسه من حسرة على قومه الذين رفضوا الإسلام، وحينما التقى بالرسول، قال له:

- يا رسول الله: رفض قومي الإسلام، واشتد فيهم الزنا، وفشى فيهم الربا، فادع الله عليهم أن يهلكهم بعذابه، كما أهلك من قبل قوم عاد وثمود الذين عصوا أنبياءهم!!

ابتسم الرسول في وجه الطفيل، فقد كان يدرك صعوبة مهمته، ورفع

---

(١) أبو هريرة: هو عمير بن عامر بن ذي الشرى بن طريف.. ينتهي نسبه إلى غنم بن دوس، اختلفوا في اسمه واسم أبيه، كان اسمه عبد نهم، أو عبد الشرى (الشرى اسم لصنم كان يقع في أرض دوس) فسماه الرسول عبد الرحمن، كان يكنى أبا هريرة، لأنه كان يحمل في كمه قطة صغيرة. أسلم بعد عهد الحديبية سنة ٦ هـ، وهاجر إلى المدينة المنورة، والتقى بالرسول بعد خيبر. مات في العقيق بالمدينة المنورة سنة ٥٩هـ. (الإصابة ج٤ ص٢٦٧، والبداية والنهاية ج٨ ص ٤٧٦).

الرسول يديه إلى السماء، ونادى ربه:

- اللهم اهد دوسًا، وأتِ بهم مسلمين.

في دهشة من الطفيل.. إنه يطلب من الرسول أن يدعو على قومه دوس بالهلاك، فكيف به يدعو لهم؟! وسرعان ما تذكر الطفيل أن الرسول لم يبعث لعانًا، وإنما بعث مبشرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين.

ثم قال الرسول ﷺ للطفيل:

- يا طفيل: عد إلى قومك، فادعهم إلى الإسلام، وترفق بهم.

عاد الطفيل إلى قومه دوس، والأمل يحدوه أن يطيعوه، ويعلنوا إسلامهم بعد دعاء رسول الله لهم بالهداية.

ولدهشة الطفيل.. جاءه كثير من أهله، وتكاثروا حوله إلا القليل منهم، وأعلنوا إسلامهم، سعداء بفضل الله عليهم وهدايتهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

(٥)

هاجر الطفيل بن عمرو بصحبة عبد ذي الشرى (أبو هريرة) وكثير من أصحابه من قومه إلى المدينة المنورة.

كان ذلك بعد عهد الحديبية سنة ٦ هـ، وكان الرسول في حصار خيبر[١].

وحينما عاد الرسول إلى المدينة، التقى بالطفيل ومعه أكثر من ثمانين من

(١) في بعض الروايات أن الطفيل اشترك في حصار خيبر.

رجال قومه، كان الإيمان يملأ صدورهم، وينير قلوبهم، وهم يعلنون للرسول إسلامهم، وأنهم معه، يناصرونه، ويشدون من أزره، ويدافعون عن الإسلام بكل ما أوتوا من قوة وشجاعة وإيمان.

وهكذا نجحت سفارة الطفيل إلى قومه الذين أسلموا، لتصبح قبيلة دوس واحدة من القبائل المسلمة في شبه الجزيرة العربية خارج مكة والمدينة المنورة.

(٦)

ثم شاء الله للطفيل، ولأبي هريرة ولكثير من أهل دوس أن يشتركوا في جيش المسلمين الذي كونه الرسول؛ لفتح مكة، وسعدوا بهذا النصر العظيم.

كم كان الطفيل سعيدًا، وهو يرى الرسول والمسلمين يحطمون الأصنام في الكعبة، ويطهرون المسجد الحرام والجميع يهتفون:

- جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا.

هنالك تذكر الطفيل الصنم الذي كان يعبده قوم دوس، فاستأذن الرسول أن يحرقه، فأذن له.

اصطحب الطفيل بعضًا من رجال قبيلته، وذهبوا إلى صنم ذي الكفين، وجمعوا كثيرًا من الحطب والأخشاب، وأشعلوا فيها النار، ثم ألقوا بصنم ذي الكفين في النار، بينما كان الطفيل ينشد:

يا ذا الكفين لست من عبادك   ميلادنا أقدم من ميلادك
إني حششت النار في فؤادك

فسعد الرسول بما فعله الطفيل.

بقي الطفيل بجوار رسول الله، يشاركه والمسلمين سعادتهم وأفراحهم وأحزانهم، حتى توفى رسول الله، فحزن عليه الطفيل حزنًا شديدًا!!

(٧)

هدأ الطفيل بن عمرو في فراشه ذات ليلة، حتى إذا مس الغمض جفنيه، رأى فيما يرى النائم، كأن رأسه حلق، وأن فمه قد خرج منه طائر، وأن امرأة لا يعرفها قد أدخلته في بطنها، وكان ابنه عمرو يحاول أن يخلصه منها.

فلما استيقظ الطفيل، راح يتدبر صورة ما رآه في رؤياه.

عرض الطفيل رؤياه على أصحابه، ولكنهم اختلفوا في تأويلها، فقال لهم الطفيل:

- أنا أفسر رؤياي لكم.

قال له أصحابه:

- نحب أن نسمعها منك.

قال الطفيل:

- أما حلق رأسي، فهو قطعها، أي أنني سأنال الشهادة، وأما خروج الطائر من فمي، فهو يعني خروج روحي من جسدي، وأما بطن المرأة، فهي حفرة في الأرض أدفن فيها، وأما محاولة ابني عمرو خلاصي، فهو يحاول أن يلحق بي.

***

لم يمض إلا أيام على هذه الرؤيا؛ حتى كان أبو بكر يجهز جيوشه لقتال المرتدين.

كان الطفيل بن عمرو أحد الجنود الذين اشتركوا في الجيش الذي ذهب إلى بني حنيفة لقتال مسيلمة الكذاب، قاتل الطفيل بشجاعة وصدق حتى استشهد سنة ١٢ هـ.

رحم الله الطفيل بن عمرو صاحب النور، وزعيم وسيد قبيلة دوس، وسفير الرسول إلى قومه؛ لدعوتهم إلى الإسلام، استطاع أن يهدي أهله وقومه إلى الإيمان بالله، وكان رائد قومه في إحراق صنمهم الذي كانوا يعبدونه، وكفاه فخرًا أن تحققت رؤياه، ومات شهيدًا في سبيل الله، وإعلاء راية الإسلام.

* * *

عَاصِمُ بْنُ ثَابِت

أحد سفراء الرسول إلى بنى هُذَيْل

(١)

اشتد وطيس المعركة بين كفار قريش والمسلمين يوم أُحُد.. تراشقت السهام والنبال، وتعانقت الإبل والخيل، وثار النقع، وارتفع الصخب والضجيج، وأريقت الدماء، وتناثرت الأشلاء، وتطايرت الرؤوس. كل فريق يبتغي النصر لقومه.

وسقط من القتلى كثير من كفار قريش، كان منهم مسافع والحارث ابنا طلحة، قتلهما عاصم بن ثابت(١).

كانت سلافة بنت سعد أم مسافع والحارث حاضرة مع نساء قريش اللاتي تزعمتهم هند بنت عتبة يوم أحد، علمت سلافة أن قاتل ولديها هو عاصم بن ثابت.

وانتهت معركة أحد بخيرها وشرها.

يومها نذرت سلافة لئن مكنتها الآلهة من عاصم، لتشربن الخمر في قحف رأسه، انتقامًا لولديها، وبعد المعركة، جعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأس عاصم!!

(١) عاصم بن ثابت بن قيس (الأقلح) بن عصمة بن مالك. أنصاري من الأوس. كان يكنى أبا سليمان. كان من الرماة المشهورين بالقدرة على تسديد رميته حيث يريد، فيصيب بها عدوه. شهد بدرًا وأحدًا، وقاتل فيهما بشجاعة، وأبلى بلاء حسنًا. (طبقات ابن سعد ج٣ ص ٤٢٨، الإصابة ج١ ص ٣٢٨).

(٢)

ذات يوم.. قدم إلى رسول الله بالمدينة المنورة، وفد من بني لحيان من هذيل[١]... لقيهم رسول الله بمسجده، قالوا له:

- يا رسول الله.. إن فينا إسلامًا وخيرًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك، ليفقهونا في ديننا، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام.

بعث الرسول إلى بني لحيان سرية من عشرة نفر[٢] من الصحابة، كان منهم خبيب بن عدي.

وأمر الرسول عليهم عاصم بن ثابت.. عرفت هذه السرية باسم سرية الرجيع[٣].

سار الصحابة من المدينة المنورة في طريقهم نحو هذيل، حتى إذا وصلوا إلى مكان يعرف باسم الهدأة، هدأوا ليتناولوا طعامهم، ثم عادوا يسيرون.

أقبل إلى الهدأة جماعة من بني لحيان والعضل والقارة، فبحثوا في بقايا الطعام، فوجدوا نوى تمر، فعلموا أن القوم الذين جاءوا إلى هذا المكان من يثرب، فتابعوا آثار أقدامهم، والغدر في نيتهم.

---

(١) في بعض الروايات أنهم كانوا جماعة من قبيلتي العضل والقارة اللتين تقعان جنوب شرق الطائف. (تاريخ الطبري ج٢ ص٩٢).

(٢) العشرة هم: عاصم بن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وزيد بن الدثنة، وخبيب بن عدي، وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد، وثلاثة آخرون.

(٣) كانت سرية الرجيع في صفر سنة ٤ هـ، والرجيع: ماء لهذيل بين مكة وعسفان.

أحس عاصم بن ثابت ورجاله أن رجالاً يتبعونهم، فالتجأوا إلى جبل.. وسرعان ما أقبل إليهم رجال بني لحيان، وطالبوهم أن ينزلوا، وقالوا لهم:

- لكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحدًا، وإنما نريد أن ندخلكم مكة، فنصيب بكم ثمنًا.

وضحت خديعة بني لحيان، فقال لهم عاصم بن ثابت: والله لا ننزل على عهد كافر.

أحاط الكفار بالمسلمين، وتقاتل الطرفان: الصحابة ورجال بني لحيان وهذيل، قاتل عاصم بن ثابت بشجاعة حتى فنيت نبله، وانكسر رمحه، وجرح مرثد بن أبي مرثد، وخالد ابن البكير، وأحس عاصم بنهايته، فنادى ربه:

- اللهم إني حميت دينك أول النهار، فاحم لحمي آخر النهار.

كان عاصم قد نذر لنفسه عهدًا ألا يمس مشركًا، ولا يمسه مشرك.

تكاثر الأعداء على عاصم بن ثابت، وهو يقاتلهم، وكان يهتف:

أَنَا أبو سليْمانَ وَمِثِلي رَامَي ... ورَثت مجدًا معْشرًا كرامًا

أصبت مرثدًا وخالدًا قيامًا [١]

* * *

(١) مغازي الواقدي- باب غزوة الرجيع- ج١ ص ٣٥٤.

(٣)

تكاثر الأعداء على عاصم بن ثابت، حتى قتلوه، استشهد في سبيل الله.

حاول الأعداء أن يجتزوا رأس عاصم، ليعطوه لسلافة بنت سعد، لتشرب في قحفه خمرًا، وفاء لنذرها، لكن الله حمى جسد عاصم، أرسل عليه مجموعة الدّبر (الزنابير) تلدغ الكفار الذين يحاولون الاقتراب منه، حالت بينه وبين الكفار، فارتدوا عنه حتى الصباح.

فلما كان الليل، أرسل الله على جسد عاصم سيلاً، حمله بعيدًا عن المكان، ولم يستطع الكفار أن يصلوا إليه.

كان هذا تحقيقًا لنذر عاصم أن لا يمس مشركًا، ولا يمسه مشرك.

وهكذا لم تستطع سلافة بنت سعد أن تفي بنذرها؛ أن تشرب في حقف رأس عاصم خمرًا.

إنها مشيئة الله وفضله على عاصم الشهيد في سبيل الله.

رحم الله عاصم بن ثابت سفير رسول الله إلى بني هذيل، وكفاه فخرًا أنه كان من المجاهدين في معركتي بدر وأحد، وأنه مات شهيدًا في سبيل الله، وحقق الله له رغبته، وحفظه من أن يمس جسده مشرك.

خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ

ثانى سُفَرَاء الرَّسُول إلى هُذَيْل

(١)

ونحن نتحدث عن عاصم بن ثابت، ذكرنا أنهم كانوا عشرة نفر بعثهم الرسول سفراء له إلى بني هذيل؛ ليفقهوهم في دينهم، وقد حدث ما حدث لعاصم بن ثابت، استشهد على أيدي أحد الكفار من رجال هذيل.

كان السفير الثاني لبني هذيل هو خبيب بن عدي[١].

وقع سفراء الرسول العشرة في قبضة رجال هذيل الذين أحكموا خطة الخيانة والغدر بسفراء الرسول إليهم.

قتل رجال هذيل الصحابي الجليل عاصم بن ثابت، وقبضوا على خبيب بن عدي وزميله زَيْد بْنُ الدَّثنة، وساقوهما إلى مكة مكبلين بالقيود!!.

اشترى صفوان بن أمية زيد بن الدثنة[٢]، وقتله انتقامًا لأبيه أمية بن خلف الذي قتل يوم بدر.

أما خبيب، فقد اشتراه حجير بن أبي إهاب، وأعطاه لعقبة بن الحارث بن عامر؛ ليقتله، انتقامًا لأبيه الذي قتل يوم بدر، واشترك معه عكرمة بن أبي جهل.

---

(١) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن حججي بن عوف. أنصاري من الخزرج. شهد بدرًا وأحدًا، وكان أحد سفراء الرسول الذين بعثهم إلى بني هذيل. (طبقات ابن سعد ج٤ ص ٣٠٨).

(٢) هو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر. أنصاري من بني بياضة. شهد بدرًا وأحدًا. (الإصابة ج١ ص٧٤٩).

وحينما عادوا بخبيب إلى مكة، كان ذلك في الأشهر الحرم، فانتظروا حتى تنتهي، وسجنوه في دار ماوية[1] مولاة حجير.

(٢)

بينما كان خبيب في محبسه، نظرت إليه ماوية من صير الباب، فأدهشها ما رأت.. رأت خبيبًا في يده قطف من عنب أكبر من رأس الجمل، كان خبيب يأكل منه في وقت لم يكن في مكة عنب، إنه رزق ساقه الله إليه.

وحين كان الليل.. كان خبيبًا يتهجد، ويدعو ربه، ويقرأ القرآن الكريم، فإذا سمعته النساء بكين وترققن.

ولما سألته ماوية:

- ما حاجتك يا خبيب؟

في ثقة بالله، قال لها:

- ليس بي حاجة إلا أن تسقيني العذيب (الماء العذب) ولا تطعميني ما ذبح على النصب، وأن تخبريني إن أرادوا قتلي.

إنها طلبات تدل على زهده وشجاعته.

مضت الحياة بخبيب في دار ماوية راضيًا بمشيئة الله وقدره، شاكرًا له فضله، داعيًا للإسلام بالنصر على هؤلاء الذين خدعوه وأصحابه.

---

(١) هي ماوية كانت مولاة لحجير بن إهاب، سجن خبيب بن عدي في دارها. أسلمت بعد ذلك، وحسن إسلامها.

فلما علمت ماوية أن القوم استقروا على قتل خبيب، أخبرته، فتلقى منها الخبر بصبر، لم يرهبه، ولم يكترث به، ولم تهن عزيمته، وقال لها:

- فابعثي إليّ بحديدة استصلح بها.

فبعثت ماوية إليه بموسى استحد بها (حلق بها) واستعد للقاء ربه!!

(٣)

وجاء اليوم الموعود، يوم قتل خبيب، خرجوا به إلى مكان يعرف باسم التنعيم[١]، والأعداء محيطون به خوفًا من أن يهرب.

عند ذلك.. سألهم خبيب مطلبًا، قال لهم:

- دعوني أصلي لله ركعتين.

فسمحوا له، ركع خبيب ركعتين أحسنهما، والأعداء ينظرون إليه.

فلما انتهى خبيب من صلاته، أقبل عليهم، وقال لهم:

- والله لولا أن تظنوا أني أطلت الصلاة جزعًا من القتل، لاستكثرت من الصلاة[٢].

حاول بعض المشركين أن يقنعوا خبيبًا؛ ليرجع عن دين محمد، ويعود إلى دينهم؛ لكي يعفوا عنه، ويخلوا سبيله، لكن خبيبًا أبى، وتمسك بدينه مهما أصابه من سوء.

---

(١) التنعيم: مكان على بعد حوالي ٧ كم من المسجد الحرام، فيه مسجد السيدة عائشة، عنده يحرم أهل مكة.

(٢) بهذا يعتبر خبيب بن عدي أول من سن صلاة ركعتين عند القتل.

سأله أحدهم:

- يا خبيب.. أتحب أن يكون محمد مكانك؟

أجابه خبيب:

- لا والله، ما أحب أن يفديني رسول الله بشوكة تشوكني.. إن قتلي في رسول الله لقليل.. اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عني السلام، فبلغه أنت السلام.

وكان الرسول ﷺ في هذا الوقت بين صحبه في المدينة، فأخذته غيبة ثم قال:

- «هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام»[1].

وكان أبو سفيان بن حرب حاضرًا، فدهش كيف يحبّ أصحاب محمد صاحبهم!!

أجمع الجميع على صلب خبيب، فرفع رأسه إلى السماء، ونادى ربه:

- اللهم أحصهم عددًا، وأهلكهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا.

فساد الخوف الحاضرين، لاشك أنهم سيتفرقون، وسيموتون، وأنه سيستجاب لدعوته.

ثم أخذ خبيب ينشد:

لَقَدْ أَجْمَعَ الأَحْزَابُ حَولي وأَلَّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام- باب مقدمة المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام -ج١ ص ٥٤، والحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير بنحوه.

وكلهم مُبدي العداوة جاهد — عليَّ لأني في وثاق بمضيع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم — وقربت من جذع طويل ممنّع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي — وما أرصد الأحزاب لي عند
فذا العرش صبَّرني على ما يراد بي — فقد بضعوا لحمي وقد ياس
وقد خيروني الكفر والموت دونه — فقد ذرفت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت — وإن إلي ربي إيابي ومرجعي[1]

رفع الكفار خبيبًا على جذع نخلة، وأوثقوه بالحبال.

حاول خبيب أن يكون وجهه نحو القبلة، ولكنهم أبعدوه عنها.

حاول هذا عدة مرات، ولكنهم كانوا يعيدون وجهه بعيدًا عن القبلة[2].

وهنا هتف خبيب:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا — علي أي شق كان في الله مضجعي!!

وتبارى الكفار بسهامهم وحرابهم، يقذفون بها نحو خبيب، بينما كان خبيب ينادي ربه:

- اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا[3].

واستمر أعداء الله يمزقون جسد خبيب برماحهم، وهو لا يفتر يردد:

(١) زاد المعاد- باب سنة صلاة القتل ج٣ ص ٢١٦.
(٢) شاء الله أن يفاجأ الكفار أن وجْه خبيب بعد موته، كان نحو القبلة!!
(٣) البداية والنهاية باب غزوة الرجيع- ج ٤ ص ٦٦.

- لا إله إلا الله محمد رسول الله[١].

وتدفقت الدماء من جسد خبيب، تحكي قسوة الكفار وحقدهم، ليسطر التاريخ له صفحة مشرقة لهذا البطل.. خبيب بن عدي.

(٤)

وعلم الرسول بما وقع لسفرائه الذين بعثهم إلى هذيل، وكيف كانت نهايتهم، فحزن عليهم، وأخبر جبريل عليه السلام الرسول ﷺ بما قاله خبيب، وأنه ما يزال معلقًا.

بعث الرسول الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو إلى التنعيم، فأنزلا خبيبًا من على النخلة، وكان ما يزال جسده رطبًا، وحمله الزبير بن العوام على فرسه.

كان رجال قريش حول خبيب سكارى، احتفالاً بالانتقام منه، حينما أنزله الزبير، فلما استيقظوا، لم يجدوا جثة خبيب، فأسرعوا يلحقون به.

شاء الله أن يسقط خبيب من على الفرس، فابتلعته الأرض، دون أن يدركه الأعداء.. إنها معجزة أخرى لخبيب بن عدي.

رحم الله خبيب بن عدي، أحد سفراء الرسول، أول من سن صلاة ركعتين قبل القتل، وأثابه خيرًا عما تحمله من آلام في سبيل الله، وكفاه فخرًا أنه مات شهيدًا.

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله- باب محنة الإسلام في عهد النبوة- ج١ ص ١٢٤.

عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

سفير الرسول إلى قبيلتى عَضَل والقَارَّة

(١)

اتسعت البادية حول مكة، وتباعدت أطرافها، وبدت وقد افترشت الأرض برمالها.. تلك الرمال التي عراها القيظ والجفاف، حتى من كلأ.

ولكن.. ما بال هؤلاء الرجال السود الذين تناثروا في جهات شتى من البادية، يقاسون من لهيب الظهيرة، وشدة لظاها، وقد وقف عليهم.. أمامهم وخلفهم سادتهم من رجال قريش، يلهبون أجسادهم.. ظهورهم وصدورهم بالسياط، كأنما يطربهم أنينهم، وتوجُّعهم، وما أجرم هؤلاء العبيد، وما أثموا إلا أنهم آمنوا بدعوة محمد بن عبد الله، ونبذوا عبادة آلهة سادتهم من الأصنام والأوثان؟!!

كان عامر بن فهيرة[١] واحدًا من هؤلاء العبيد.. كان عبدًا لسيده الطفيل بن الحارث بن سخبرة[٢].

كان أبو بكر الصديق قد اعتاد أن يشتري العبيد، ويحررهم من عبوديتهم، يجعلهم أحرارًا؛ حبًا في الإسلام؛ لذلك اشترى أبو بكر عامر بن فهيرة من سيده، وجعله راعيًا لأغنامه.

* * *

(١) هو عامر بن فهيرة أحد رجال قبيلة الأزد اليمنية. أسلم مبكرًا قبل أن يدخل الرسول إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، واشترك في معركتي بدر وأحد. (طبقات ج ٣ ص ٢١١).

(٢) كان الطفيل بن الحارث أخًا للسيدة عائشة لأمها أم رومان. (الطبقات ج٣ ص ٢١١).

(٢)

وتتابعت الأمور في مكة كما شاءها الله.

ثم كان يوم الهجرة، كان عامر بن فهيرة أحد ثلاثة أبطال هذا الحدث التاريخي المهم في الإسلام، كان لكل من الثلاثة دور في الحفاظ على رسول الله وصاحبه أبي بكر، إنهم عبد الله بن أبي بكر الذي كان يأتي بأخبار قريش لأبيه وصاحبه، وأسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين) التي كانت تأتي لهما بالطعام، وعامر بن فهيرة الذي كان يرعى أغنامه قرب غار ثور، فإذا جاء عبد الله، أو أسماء، أطلق عامر أغنامه على آثار أقدامهما، حتى لا يستطيع كفار قريش أن يصلوا إلى مكان الصاحبين، وفي المساء يحلب أغنامه، ويقدم ألبانها إلى الرسول وأبي بكر.

هكذا كان دور عامر بن فهيرة في رحلة الهجرة، حتى أذن الله للصاحبين بالخروج من الغار والاتجاه نحو يثرب (المدينة المنورة).

ثم هاجر عامر بن فهيرة إلى المدينة المنورة، ليكون بجوار رسول الله ﷺ، يطمئن عليه، ويشاركه الكفاح والنضال من أجل اتساع راية الإسلام.

شهد عامر بن فهيرة بدرًا وأحدًا، ويوم أحد كان أحد الذين بايعوا الرسول على القتال، والدفاع عنه.

(٣)

بينما كان الرسول ذات يوم جالسًا في المسجد، أقبل إليه أبو براء عامر

بن مالك، الذي كان يعرف في قومه باسم ملاعب الأسنة، وقدم للرسول هدية، فقال له الرسول ﷺ:

- إني لا أقبل هدية من مشرك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك.

عرض الرسول على عامر بن مالك الإسلام، وأن تكون له الجنة، ولكن عامرًا رفض الإسلام، وإن لم يظهر عداوة للإسلام، وقال للرسول:

- يا محمد.. لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، تدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك.

كان الرسول يعلم عن أهل نجد الخيانة، وعدم الوفاء، فتعهد عامر بن مالك أن يكون جارًا لهم، يمنعهم، ويحفظهم من كل سوء.

ولأن الرسول يتمنى نشر الإسلام خارج مكة والمدينة، وكان يعلم أن عامر ابن مالك مسموع الكلمة في قومه؛ لذلك وافق عامرًا على رأيه، وبعث معه سبعين رجلاً من المسلمين كانوا يعرفون باسم القراء[١].

كان من هؤلاء السبعين رجلاً الذين اختارهم الرسول لسفارتهم إلى أهل نجد.. عامر بن فهيرة.

مضى المسلمون السفراء في سرية[٢] من المدينة المنورة في طريقهم إلى نجد، كان الأمل يحدوهم أن يوفقوا في مهمتهم.

---

(١) القراء هم: جماعة من الأنصار، كانوا يأتون المسجد بالنهار بالماء العذب، ويحتطبون، ليبيعوا ما جمعوا من حطب، ويشتروا به طعامًا للفقراء، وفي الليل يتعبدون، ويقرأون القرآن.

(٢) عرفت هذه السرية باسم سرية بئر معونة، أو سرية القراء.

وصل الرجال السبعون إلى بئر معونة، منطقة تقع بين أرض بني عامر وحرة بني سليم.

بعث رجال السرية أحدهم وهم حرام بن ملحان بكتاب إلى عامر بن الطفيل (هو ابن أخ لعامر بن مالك).

للأسف لم ينظر عامر بن الطفيل في الكتاب المرسل إليه، بل قتل حرام بن ملحان، واستصرخ بني عامر، ليقاتلوا المسلمين، واستصرخوا قبائل أخرى هي: سليم، ورعل، وذكوان، فجاءوهم لنصرتهم، وتقاتلوا مع سرية القراء، فاستشهد المسلمون كلهم ما عدا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الذي أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة كانت له على أمه.

في هذه المعركة.. استشهد عامر بن فهيرة، قتله رجل اسمه جبار بن سلمى الكلابي.

وبينما كان عامر بن فهيرة يجود بأنفاسه شهيدًا، قال:

- الله أكبر، فزت ورب الكعبة.

كان عامر يعني بكلماته هذه أنه فاز بالشهادة، وأن له الجنة.

ودهش قاتله جبار مما سمع، كيف لعامر أن يغادر الدنيا، ويترك الحياة إلى الأبد، وأي شيء يعني أنه فاز به؟!!

ولما سأل جبار عن هذا الموقف، علم أن عامرًا مات شهيدًا، وسيفوز بالجنة في الآخرة.

هنالك شرح الله صدر جبار بن سلمى للإسلام، فأعلن إسلامه.

وهكذا كان استشهاد عامر بن فهيرة طريقًا لهداية وإسلام أحد الكفار.

وانتهت المعركة بين رجال السرية وأعدائهم من القبائل، وبحث القوم عن القتلى، فلم يجدوا فيهم عامر بن فهيرة، فقال أحدهم:

- رأيت الملائكة دفنته في الأرض، أو رفعته إلى السماء.

حزن الرسول على ما أصاب سفراءه من القراء المسلمين، وكان يدعو على من قاتلهم في القنوت، ولما علم أن الأعداء لم يجدوا عامر بن فهيرة قال:

- لقد دفنته الملائكة.

رحم الله عامر بن فهيرة، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد أبطال الهجرة، وبدر وأحد، وكفاه فخرًا أنه مات شهيدًا، وبشهادته هدى الله كافرًا، وأن الملائكة التي دفنته فهو دفين الملائكة.

نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِىُّ

سفير الرسول إلى قريش وبنى قريظة

(١)

جلس حيي بن أخطب ذات يوم في حديقة داره في خيبر[١]، يفكر فيما آل إليه أمر قومه من بني النضير، بعد أن طردهم محمد من ديارهم في المدينة.

فبينما هو في أفكاره.. رأى نملة تخرج من جحرها، فوجدت في طريقها حبة قمح، حاولت النملة أن تحمل حبة القمح إلى جحرها، ولكنها عجزت.

أسرعت النملة إلى جحرها، وسرعان ما جاء معها نمل كثير، أحاط النمل بحبة القمح في تعاون، واستطاع النمل أن يحمل حبة القمح، وينقلها إلى الجحر في سعادة!!

لقد استطاع النمل الكثير في وحدة متحدة أن ينجح فيما فشلت فيه النملة الواحدة.

أوحت هذه الصورة إلى حيي بفكرة نسج الشيطان له خيوطها.

لقد عجزت قريش أن تحقق النصر على محمد الذي هزم رجالها في بدر، وعجز اليهود عن مواجهة محمد حين حاصر بني قينقاع[٢] وبني النضير[٣]

---

(١) كان يهود بني النضير بعد حصار المسلمين لهم قد هاجروا إلى خيبر، وبعضهم إلى أذرعات بالشام. (تاريخ الطبري ج٢ ص ١٠١).

(٢) كان حصار المسلمين لبني قينقاع وطردهم من المدينة في منتصف شوال سنة ٢ هـ.

(٣) كان حصار المسلمين لبني النضير وطردهم من المدينة في ربيع الأول سنة ٤ هـ.

وطردهم من المدينة، ولا شك أن الدائرة ستدور بعد ذلك على بني قريظة، لتخلو لمحمد المدينة كلها.

كان حيي بن أخطب يعلم كثيرًا عن شدة العداء بين محمد ورجال قريش وكثير من القبائل العربية الأخرى الذين أساء إليهم محمد بدينه الجديد.

كان حيي بن أخطب على دراية بالصراع بين محمد واليهود[1]، وهؤلاء اليهود الذين كانوا قد استقروا في المدينة، وثبتوا أقدامهم، وسيطروا على مقاليد الأمور الاقتصادية فيها.

وإذا كان لابد من القضاء على محمد ورجاله ودينه، فالطريق إلى ذلك هو اتحاد أعدائه عليه، كما اتحد النمل؛ لينقل حبة القمح إلى داخل جحره.

(٢)

لذلك صحب حيي بن أخطب النضيري بعض سادة اليهود: سلام بن أبي الحقيق النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، واتخذوا طريقهم من خيبر إلى مكة لتأليب قريش والقبائل العربية المجاورة واليهود جميعًا على محمد ﷺ، حتى وصلوا إلى دار أبي سفيان.

---

(١) هؤلاء اليهود كانوا دخلاء على يثرب (المدينة المنورة) لم يكونوا من أهلها الأصليين، ولكنهم هاجروا إليها من أرض كنعان في عدة هجرات: الهجرة الأولى لهم في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، والهجرة الثانية أمام الزحف البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، والهجرة الثالثة أمام الغزو الروماني في القرن الأول الميلادي سنة ٧٠م.

التقى حيي وأصحابه من اليهود بزعماء قريش منهم أبو سفيان بن حرب، ودارت مناقشات بين اليهود وقريش، كلها تهدف إلى وضع خطة للقضاء على محمد وأتباعه، قال أبو سفيان لليهود:

- يا معشر اليهود.. إنكم أهل الكتاب الأول، وأهل العلم، أفديننا خير، أم دين محمد ونحن وثنيون؟

أجابه حيي بن أخطب قائلاً:

- بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه[1].

تعاهد اليهود بزعامة حيي بن أخطب على مساعدة قريش وحلفائهم من القبائل العربية الأخرى إن هاجمهم محمد. قال لهم حيي:

- سنكون معكم، نساعدكم في القضاء عليه، وسنستأصله، لتأخذوا بثأركم لقتلاكم يوم بدر.

تنفيذًا لفكرة حيي بن أخطب، تجهز رجال قريش ومعهم قبائل غطفان وسليم وفزارة وبني سعد للقتال.

كوَّن أبو سفيان بن حرب جيشًا كبيرًا من عشرة آلاف مقاتل ومعه الخيول والإبل، مزودين بالسلاح من نبال وحراب وسهام، يقود الجيش قواد عرفوا بالشجاعة وحسن القتال، كان منهم عيينة بن حصن، والحارث

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[النساء: ٥١، ٥٢].

بن عوف بن أبي حارثة، ومسعود بن أبي حارثة، ومسعود بن رخيلة بن نويرة[(١)].

(٣)

علم الرسول والمسلمون بمقدم قريش وحلفائهم؛ لمهاجمة المدينة، وأنهم اتفقوا مع اليهود على مساعدتهم.

اقترح سلمان الفارسي[(٢)] على الرسول حفر خندق حول المدينة، يمنع الأعداء من الهجوم عليها، واشترك الرسول والمسلمون جميعًا في حفر الخندق، واستعدوا لمواجهة الأعداء.

ما كاد رجال قريش وأنصارهم من القبائل الأخرى يجدون الخندق، حتى أدركوا أن الرسول والمسلمين دبروا لهم مكيدة.

كان المقاتلون قد اعتادوا المبارزة، ولكن هذا الخندق سيحول بين القتال مع محمد.

حاول فرسان قريش أن يجتازوا الخندق من منطقة السبخة، فلم

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٧.

(٢) سلمان الفارسي: أصله فارسي من أهل أصفهان، كان أبوه دهقانا (عمدة) لقرية اسمها حي، كان يدين بالمجوسية، ولكنه لم يكن مقتنعًا بدينه، فخرج يبحث عن دين له، وتنقل في أنحاء شتى بين فارس والشام، حتى اشتراه عربي من يثرب.
وحين جاء إليها الرسول مهاجرًا، كان سلمان فوق نخلة، أعلن سلمان إسلامه، واشترك في معركتي أحد والخندق وكثير من المشاهد مع رسول الله. توفى في خلافة عثمان بن عفان. (طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٩).

يفلحوا، واجههم علي بن أبي طالب، فألقوا بالنبال والحجارة على المدينة، ومنعوا المسلمين من الخروج للصلاة.

فماذا يفعل الرسول والمسلمون؟!

شاء الله أن يكون أحد رجال قبيلة غطفان حاضرًا مع قبيلته لقتال المسلمين.

كان هذا الرجل هو نعيم بن مسعود (١)، أحس بما يعانيه المسلمون من سوء موقف اليهود، فهداه الله إلى الإسلام.

اتخذ نعيم بن مسعود الليل ستارًا له، وغادر رجال قبيلته، واتجه إلى المدينة المنورة، حيث التقى بالرسول، وأعلن إسلامه.

قال نعيم بن مسعود للرسول ﷺ:

- يا رسول الله.. أعلم أن قريشًا تحالفت مع القبائل العربية الأخرى، وأنهم اتفقوا على أن يساعدهم اليهود، وأن بني قريظة يستعدون لقتال المسلمين مع قريش، وإني قد أسلمت، ولكن قومي لا يعلمون بإسلامي، فمرني بما شئت.

كان واضحًا إخلاص نعيم بن مسعود للإسلام، وأنه يريد أن يبذل جهدًا في سبيله.

---

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ. من بني أشجع. كان يعرف باسم نعيم بن مسعود الأشجعي. كان يكنى أبا سلمة الأشجعي. أوقع الخلاف بين قريش وبني قريظة وغطفان في غزوة الخندق. قتل نعيم في أول خلافة علي بن أبي طالب، وقيل: في آخر خلافة عثمان بن عفان. (الإصابة ج٣ ص٧٥٠).

قال الرسول ﷺ لنعيم:

- إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

أراد الرسول أن يتخذ من نعيم سفيرًا له إلى قريش وبني قريظة؛ لا ليدعوهم إلى الإسلام، ولكن ليفرق بينهم، يخدع كل فريق منهم، بحيث تكون الفرقة بينهم، مما يعطل وحدتهم، ويضعف من قوتهم أمام قوة المسلمين.. إن الحرب خدعة، ولا بأس من أن يخدع نعيم أعداء الإسلام من أجل انتصار المسلمين.

لقد كانت مهمة نعيم من أشق المهام، ساعده عليها أن الأعداء لا يعلمون بإسلامه.

(٤)

اتجه نعيم بن مسعود إلى بني قريظة، وكان نديمًا لهم في الجاهلية، وقال لهم:

- يا بني قريظة.. قد عرفتم ودِّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا:

- صدقت، لست عندنا بمتهم.

عاد نعيم بن مسعود، وقال:

- إن قريشًا وغطفان جاءوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشًا وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان أموالهم

وأبناؤهم ونساؤهم ببلدهم، فليسوا كهيئتكم. إن وجدوها (فرصة) وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم، حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا، حتى تناجزوه.

اقتنع بنو قريظة بكلام نعيم بن مسعود، وقالوا له:

- لقد أشرت برأي ونصح.

هكذا وضع نعيم بن مسعود الكرة في ملعب بني قريظة، وهو واثق أنه بذلك خدعهم، نكاية فيهم، لتحالفهم مع قريش.

(٥)

خرج نعيم بن مسعود من عند بني قريظة، واتجه إلى رجال قريش، وفي ثقة، قال لهم:

- يا معشر قريش.. لقد عرفتم ودي إياكم، وفراقي محمدًا، وقد بلغني أمر رأيت حقًا علي أن أبلغكموه، نصحًا لكم، فاكتموا عليَّ.

قال رجال قريش:

- نفعل.

قال نعيم بن مسعود:

- فاعلموا أن اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أنهم قد ندموا على ما فعلوا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من

القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيهم لك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا، وإلا كان مصير من ستبعثونه القتل؟.

لاشك أن قريشًا صدقوا نعيمًا فيما قاله لهم وشكروه على حسن نصيحته.

(٦)

اتجه بعد ذلك نعيم بن مسعود إلى بني غطفان، وقال لهم:

- يا معشر غطفان.. أنتم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إليَّ، ولا أراكم تتهمونني.

قال رجال غطفان:

- صدقت.

قال نعيم بن مسعود:

- فاكتموا عليَّ أمري.

قالوا:

- نفعل.

قال نعيم مثل ما قاله لقريش عن قريظة، وحذرهم مما حذر به قريشًا من قبل.

***

هكذا أحكم نعيم خطة خديعته للأطراف الثلاثة: يهود بني قريظة، غطفان، قريش..

هذا الثالوث الذي تحالف رجاله، لينالوا من محمد والإسلام، وكأنما شاء الله أن يقيض للمسلمين هذا البطل نعيم بن مسعود.

(٧)

فلما كان يوم السبت من شوال سنة ٥ هـ.. أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل[١] في نفر من قريش وغطفان، وقال لهم:

- يا يهود بني قريظة.. إننا لسنا بدار مقام.. قد هلك الخف والحافر[٢]، فاغدوا للقتال، حتى نناجز محمدًا، ونفرغ مما بيننا وبينه.

بعث بنو قريظة إلى قريش وغطفان رسالة، قالوا فيها:

- إن اليوم هو يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثًا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنًا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد.

---

(١) عكرمة بن أبي جهل. كان أبوه من أشد أعداء الإسلام. قتل أبوه يوم بدر. أسلم عكرمة بعد ذلك وحسن إسلامه.

(٢) المقصود بالخف: الإبل، وبالحافر: الخيل.

وضح من هذا صدق ما قاله نعيم بن مسعود لقريش، وما قاله لبني قريظة.

لاشك أن نعيمًا نجح في مهمته، وصدقه الأعداء الثلاثة فيما بينهم، وكان هذا سلوكهم فيما بينهم.

وحينما عاد رسولا قريش وغطفان إلى قومهم بما قاله بنو قريظة، وأنهم يطلبون من قريش رهائن، قال رجال قريش وغطفان لبعضهم:

- لقد صدق نعيم بن مسعود فيما قاله.

ولأن الثقة قد انعدمت بين بني قريظة من جهة وقريش وغطفان من جهة أخرى، بعث رجال قريش وغطفان إلى بني قريظة، يقولون لهم:

- والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا، وقاتلوا.

تناقش رجال بنو قريظة فيما بينهم، فقال بعضهم لبعض:

- لقد صدق نعيم بن مسعود فيما قاله، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوها فرصة، انتهزوها، وإن كان غير ذلك، تشمروا إلى بلادهم، وخلوا بيننا وبين الرجل في بلادنا.

بعث رجال بنو قريظة إلى قريش وغطفان، يقولون لهم:

- إنا والله لا نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنًا.

هكذا تفرَّق الأعداء، وتقاعسوا عن قتال المسلمين.

(٨)

شاء الله أن يبعث على الكفار ريحًا عاصفة، عصفت بالرجال، وهطل المطر غزيرًا، ولمع البرق في السماء، واقتلعت الريح خيام الأعداء، وكُفئت قدورهم وتناثرت وتطايرت.

خشي كفار قريش ومن معهم أن تكون هذه فرصة لمهاجمة المسلمين لهم، فارتحلوا من المدينة المنورة إلى مكة.

وهكذا كان نعيم بن مسعود قد نجح في سفارته، وكان أحد العوامل المؤثرة والمهمة في فشل الأعداء وتفريقهم فيما بينهم في غزوة الخندق.

رحم الله نعيم بن مسعود، وعفا عنه تأخره في الإسلام، وأثابه خيرًا عن حسن سفارته بين أعداء الإسلام والمسلمين، بني قريظة وغطفان وقريش، حين بذر بينهم الفرقة والشك، وكفاه فخرًا أنه كان أحد الأسباب الرئيسية في انتصار المسلمين على أعدائهم يوم الخندق.

عَبْدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْف

سفير الرسول

إلى الأصبغ ملك دومة الجندل

(١)

ترامت البادية، واتسع مداها ما بين شمال الحجاز وأرض الشام.. في منطقة رملية بخلت عليها السماء بالأمطار، فخلت من الحياة النباتية، إلا من تجمعات بشرية متناثرة محدودة في صورة قبيلة، أو دويلة تقوم الحياة فيها على مياه الآبار.

في أحد هذه التجمعات البشرية ما بين شمال الحجاز، وجنوب أرض الشام في دومة الجندل[١]، قامت حياة قبيلة كلب، والتي كان سيدها أو أميرها الأصبغ بن عمرو[٢]. ولأن سكان هذه المنطقة أقرب إلى الشام، فقد كان معظمهم يدينون بالمسيحية، ديانة الرومان.

كان على الرسول أن ينشر الإسلام في هذه المنطقة، فلم يعد الإسلام مقصورًا على مكة والمدينة المنورة، وإنما هو دعوة عالمية للناس جميعًا؛ لذلك فكر الرسول ﷺ أن يبعث بسفير إلى أهل دومة الجندل، يدعوهم إلى الإسلام.

اختار الرسول لهذه المهمة العظيمة الصحابي الجليل: عبد الرحمن بن عوف[٣].

---

(١) دومة الجندل: منطقة تقع في قلب الصحراء، تبعد عن المدينة المنورة بأكثر من ١٠٠٠ كم شمال غرب نجد، قرب تخوم الشام، والمسافة بينها وبين المدينة المنورة ثلاثة أضعاف ما بينها وبين دمشق!! تقع دومة الجندل شمال شرق مدينة تبوك بين الخليج العربي والبحر الأحمر.

(٢) هو الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصين. من قبيلة بني كلب.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب. كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، أو عبد الكعبة، فسماه الرسول عبد الرحمن. أسلم مبكرًا قبل أن يدخل الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم. هاجر إلى الحبشة الهجرتين، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، شهد بدرًا وأحدًا، وثبت يوم أحد مع الرسول ﷺ، كما شهد المشاهد كلها مع الرسول . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان أحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب للخلافة من بعده. رخص الرسول ﷺ له بلبس الحرير. بعثه الرسول ﷺ في سرية إلى دومة الجندل، ليدعوهم إلى الإسلام. توفي سنة ٣٢ هـ. (طبقات ابن سعد ج٣ ص ١١٥).

(٢)

ذات يوم من شعبان ٦ هـ.

استدعى الرسول عبد الرحمن، وقال له:

- تجهَّز، فإني باعثك على سرية في يومك، أو من غد إن شاء الله.

جلس عبد الرحمن بن عوف بين يدي رسول الله ﷺ، فنفض الرسول عنه عمامته، وعممه بعمامة سوداء، وأرخى على كتفيه بعضًا منها.

توشح عبد الرحمن بن عوف بسيفه، فقال له الرسول ﷺ:

- اغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغل، ولا تغدر، ولا تقتل وليدًا، وإن استجابوا لكم، فتزوج ابنة ملكهم(١).

ثم بسط الرسول يده، وقال لمن حوله:

- (أيها الناس اتقوا خمسًا قبل أن يحل بكم خمس: ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين، ونقص من الثمرات، لعلهم يرجعون، وما نكث قوم عهدهم، إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما منع قوم الزكاة، إلا أمسك الله عنهم قطر السماء، ولولا البهائم، لم يسقوا، وما ظهرت الفاحشة في قوم، إلا سلط عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير القرآن، إلا ألبسهم الله شيعًا، وأذاق بعضهم بأس بعض)(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد ج٢ ص ١٢٧ طبعة النشرتي.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه. كتاب الفتن ٤١٠٩.

(٣)

سار عبد الرحمن بن عوف مع رجاله، كانوا يسيرون في الليل، ويستريحون بالنهار، حتى وصلوا إلى دومة الجندل، فدعا الناس فيها إلى الإسلام، واستمر يدعوهم إليه ثلاثة أيام.

فلما كان اليوم الثالث، أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيًا، وتبعه كثير من قومه.

بعث عبد الرحمن بن عوف كتابًا إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث من بني جهينة، أخبره أنه أسلم من أسلم من بني كلب، وتعهد آخرون بدفع الجزية، وأنه تزوج من تماضر بنت الأصبغ[(١)].

وهكذا نجح عبد الرحمن في سفارته إلى أهل دومة الجندل.

***

لقد أراد الرسول بهذا أن يغزو المسلمون هذه المنطقة النائية، خارج المدينة المنورة، لتكون ركيزة بعد ذلك لتحركات المسلمين نحو الشام، ولتكون دومة الجندل أحد المواقع الإسلامية في أطراف شبه الجزيرة العربية، أقرب ما تكون إلى الشام، لتكون تمهيدًا بعد ذلك لخلفاء الرسول في التوسع، لنشر الإسلام في الشام، وما يليه.

وحقق الله للإسلام ما أراده الرسول على يد عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) هي تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة.. تزوجها عبد الرحمن بن عوف، وأنجبت له ابنه سلمة. كانت سوداء. (الطبقات ج١٠ ص ٢٨٢).

عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ

سفير الرسول إلى بنى ثقيف

(١)

إنه ثاني عظيمين، تمنى كفار قريش أن ينزل القرآن الكريم على أحد منهما؛ ليكون نبيًا بدلاً من محمد بن عبد الله، جاء ذكرهما في قوله تعالى:

- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

أما أحدهما، فهو الوليد بن المغيرة، عظيم قريش في مكة.

وأما الثاني، فهو عروة بن مسعود[١] عظيم قوم ثقيف في الطائف[٢].

عرف عن عروة مكانته بين قومه، كانت له عدة صفحات في تاريخ الإسلام.

* * *

حين قدم الرسول والمسلمون للعمرة سنة ٦ هـ، ورفض كفار قريش دخولهم مكة، ودارت مفاوضات بين المسلمين وقريش، وتعددت الرسل والسفراء بين الطرفين، والحوار والنقاش والجدال؛ لذلك عرض رجال قريش على عروة أن يكون سفيرًا لهم؛ ليقنع الرسول بعدم دخول مكة، فرفض عروة في أول الأمر، ولكنه وافقهم بعد ذلك.

---

(١) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن ثقيف، وهو عم والد الصحابي المغيرة بن شعبة (الإصابة ج٢ ص ٦٣٧).

(٢) الطائف: هي الآن إحدى مدن المملكة العربية السعودية، تقع جنوب مكة المكرمة بحوالي ٧٨ كم وهي مدينة قديمة من العصر الجاهلي، سميت بالطائف لأن حولها سور يطيف بها، تقع قرب سوق عكاظ، وهي مرتفعة عن سطح البحر ١٨٠٠م؛ ولذلك تعتبر مصيفًا لاعتدال مناخها، زارها الرسول بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة، ولكنه وجد من أهلها سوءًا.

ذهب عروة إلى رسول الله ﷺ، وفي ثبات وشجاعة، قال له:

- يا محمد.. إن مكة بيضة، وإنك إن تفضها على أهلها المقيمين بها مما جمعت من أوشاب الناس، ثم انصرف الأوشاب عنك، كان العار الخالد لقريش عارًا لا يرضاه محمد، وقد يتصل الحرب بينك وبين قريش.

كانت كلمات عروة فيها إساءة للمسلمين الذين سماهم بالأوشاب[1]؛ لذلك ثار أبو بكر على عروة، واحتد عليه المغيرة بن شعبة، وكاد يفتك به، كيف يعتقد عروة أن المسلمين سيتفضون من حول الرسول؟!

ودارت مناقشات بين عروة بن مسعود والرسول والمسلمين، استطاع الرسول من خلالها أن يقنع عروة بأنهم جاءوا للطواف والعمرة، وليس للحرب والقتال.

هنالك أدرك عروة بن مسعود الحقيقة كاملة، وعاد إلى قريش، وقال لهم:

- يا معشر قريش.. إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا في قومه مثل محمد في أصحابه، وقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا، وإنه قد عرض علي خطة رشد، فاقبلوها.

كانت كلمات عروة بن مسعود لقريش كلمات حكيمة تدل على حب المسلمين لرسول الله وتمسكهم به وبدينهم، وأنهم لن يتخلوا عنه، لعل هذه الكلمات أعادت إلى أذهان قريش حكمة الموقف الذي انتهى بالتراضي بين المسلمين وقريش على صلح الحديبية الذي كان من أهم شروطه الهدنة بين الطرفين عشر سنوات، وأن يعود المسلمون إلى مكة في العام التالي؛

---

(١) الأوشاب: أخلاط شتى من الناس.

ليطوفوا، ويعتمروا.

لا شك أن عروة في هذا الموقف قد أدرك الحقيقة، ولعله فكر في الإسلام.

(٣)

واضح من خلال متابعة الأحداث أن عروة بن مسعود لم يكن حاضرًا في الطائف، حين حاصر المسلمون بني ثقيف في مدينتهم، كان ذلك بعد فتح مكة سنة ٨ هـ، ويدل على هذا أنه لم يظهر، ولم يكن له رأي خلال هذا الحصار.

وحين عاد عروة إلى مدينة الطائف بعد انتهاء حصارها، وعلم ما حدث، وأن الرسول رفع عن القوم حصارهم، أدرك عروة أن محمدًا كان على حق، ولعل الإسلام في هذا الموقف قد غزا قلبه

لذلك غادر عروة الطائف، وذهب إلى المدينة المنورة، والتقى بالرسول ﷺ وشكره على حسن موقفه وحكمته، وأعلن عروة للرسول إسلامه، فأحسن الرسول إليه وسعد به، ونزل عروة ضيفًا على أبي بكر، ثم على ابن عمه المغيرة بن شعبة[١]. كان ذلك في ربيع الأول سنة ٩هـ.

(٤)

كان إسلام عروة بن مسعود إسلامًا صادقًا، نابعًا من قلبه عن يقين.

---

(١) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب. من بني ثقيف، كان يكنى أبا عبد الله. أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهد مع المسلمين بيعة الرضوان. شهد حرب اليمامة لقتال المرتدين في عهد أبي بكر، كان من دهاة العرب. ولاه عمر بن الخطاب على الكوفة. توفى سنة ٥٩هـ (الإصابة ج ٣ ص٦٩٨).

ولأنه كان يتمنى إسلام قومه، وهو فيهم سيدهم، يطاع رأيه، لذلك استأذن عروة الرسول في أن يكون سفيرًا له إلى قومه، ليدعوهم إلى الإسلام.

كان الرسول يدرك سوء موقفِ بني ثقيف، وأنهم سيرفضون الإسلام، فنصح عروة أن يستتر إسلامه في قلبه، وألا يدعو قومه إلى الإسلام، لأنهم قاتلوه.

كان عروة مصرًا على أن ينير الإسلام قلوب قومه، فهو خير لهم.

غادر عروة المدينة المنورة وسار حتى بلغ الطائف في المساء.

أقبل إلى عروة رجال ثقيف، يحيونه بتحية الجاهلية، ولأنهم كانوا في المساء حيوه، فقالوا له: عمت مساء يا عروة.

رفض عروة أن يرد تحية الجاهلية، وقال لهم:

- عليكم بتحية أهل الجنة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هنالك أدرك بنو ثقيف أن عروة أسلم، واتبع دين محمد، فخرجوا من عنده ساخطين عليه، منكرين عليه إسلامه، وتآمروا على قتله؛ لخروجه عن دينهم.

فلما كان الصباح.. خرج عروة للصلاة، وأذن للصلاة، فسمعوه، فخرجوا إليه، وأحاطوه من كل ناحية، وقالوا له:

- نموت عن آخرنا، أو نثأر بك عشرة من رؤساء بني مالك.

أحس عروة بن مسعود بسوء الموقف حوله، وأن الرجال سيقتلونه، قال لهم: لا تقتلوني، قد تصدقت بدمي على صاحبه، لأصلح بينكم.

حاول رجال بني ثقيف أن يردوا عروة عن إسلامه، فقال لهم:

- كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ.

ثم دعا عروة بعض قومه، وقال لهم:

- إذا مت، فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله.

تكاثر على عروة رجال ثقيف، فرموه بسهامهم ونبالهم، حتى استشهد.

هكذا كانت نهاية عروة بن مسعود سفير الرسول إلى بني ثقيف.

وعلم الرسول بما حدث لعروة، فقال:

- **مثل عروة مثل صاحب ياسين.. دعا قومه إلى الله، فقتلوه**[1].

(٥)

لم يمض غير قليل، حتى أقبل رجال ثقيف على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وأعلنوا إسلامهم، وبايعوا رسول الله، كان ذلك في عام الوفود سنة ٩ هـ.

رحم الله عروة بن مسعود سفير رسول الله ﷺ إلى قومه ثقيف الذي أدرك حقيقة الإسلام، وسبق قومه إليه، مات شهيدًا في سبيل الله، وكان استشهاده بداية لانتشار الإسلام في الطائف.

---

(١) في هذا إشارة إلى قصة حبيب النجار الشيخ الصالح الذي جاءت قصته مع أصحاب القرية في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٠- ٢٢]. وكان ثلاثة بعثهم حواري عيسى إلى مدينة أنطاكيا هم: مالوس وسمعان وفاروس، جاءوا ليبذروا دعوة الله فيها.

حَبيب بنِ زَيْدٍ

سفير رسول الله إلى مُسَيْلمة الكذاب

فى قبيلة بنى حنيفة

(١)

رغم حداثة سنه، كان فتى ما يزال في مقتبل الصبا، إلا أنه كان أحد شهود بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢م بين الأنصار ورسول الله ﷺ.. حضر مع أبيه وأخيه عبد الله وأمه أم عمارة[١]..

يومها شد الفتى على يد رسول الله ﷺ، وهو يقول له:

- نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا.

كان هذا الفتى هو حبيب بن زيد[٢].

كان هو وأمه وأخوه عبد الله ممن ناصروا الإسلام في مواقف كثيرة.

وإذا كانت الظروف لم تسمح لحبيب بن زيد أن يشترك في معركة بدر؛ لصغر سنه في ذلك الوقت، فقد شارك هو وأبوه وأخوه عبد الله وأمه أم عمارة في معركة أحد، والتاريخ لا ينسى موقف أمه أم عمارة البطولي الرائع في وقوفها بجانب الرسول، ودفاعها عنه، بعد أن تخلى عنه حراسه؛ ولذلك

---

(١) أم عمارة هي: نسيبة بنت كعب بن عوف بن عمرو بن مبذول. أنصارية من بني النجار وهي أخت عبد الله بن كعب، كانت في الجاهلية زوجة لزيد بن عاصم بن عمرو، فولدت له عبد الله وحبيبًا. أسلمت وحضرت بيعة العقبة الثانية. شهدت مع الرسول يوم أحد، وكانت تسقي الجرحى، يومها ثبتت مع الرسول ودافعت عنه، وجرحت اثنى عشر جرحًا، انتقمت هي وابنها عبد الله لابنها حبيب من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة. (طبقات ابن سعد ج١٠ ص٣٨٣).

(٢) هو حبيب بن زيد بن عاصم. أنصاري من بني النجار. لم يشهد بدرًا لصغر سنه. شهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله. بعثه الرسول بكتاب إلى مسيلمة الكذاب، فقتله مسيلمة. (الإصابة لابن سعد ج٢ ص ٤٠٢، وطبقات ابن سعد ج٤ ص ٣٣٤).

دعا الرسول ﷺ لآل زيد، فقال:

- **(اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة)**[١].

كما شارك حبيب يوم الخندق، حين تحزب الأعداء من قريش واليهود.. لكن الله هزمهم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، فكان أحد الصحابة الأجلاء الذين أحبهم رسول الله، وكان يعتز بهم.

(٢)

ذات يوم.. كان ذلك سنة ٩ هـ.

كان الإسلام قد ترعرع، وآتى أكله في المدينة المنورة، وتعددت انتصارات المسلمين على أعدائهم من قريش واليهود، وفتح المسلمون مكة، وطهروا الكعبة والمسجد الحرام مما كان فيهما من أصنام.

تسامع رجال قبائل كثيرة في شبه الجزيرة العربية بانتصارات المسلمين، فتوافد كثير من سادتهم إلى المدينة المنورة، يلتقون بالرسول في مسجده؛ ليعلنوا أمامه إسلامهم، وقد عرف هذا العام بعام الوفود.

ووفد فيمن وفد من القبائل العربية.. قبيلة بني حنيفة، الذين كانوا يسكنون منطقة نجد، وكان معهم واحد منهم هو مسيلمة بن ثمامة[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص٣٥٠، سير شهداء الصحابة ص٣٥٣.

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة، كان يكنى أبا أسامة. عرف باسم مسيلمة الكذاب. بعد وفاة الرسول ادعى النبوة، وألف كلمات مسجوعة، كان يدعي أنها آيات قرآنية يوحي بها إليه مَلَك، بعد وفاة الرسول، كوَّن أبو بكر جيشًا كبيرًا لمحاربة مسيلمة استطاع المسلمون قتل مسيلمة، وانفض عنه رجاله.

هدأ رجال بنو حنيفة في مكان ما، ليستعدوا للقاء الرسول، ليعلنوا له إسلامهم.

رفض مسيلمة أن يصحب قومه فيما جاءوا من أجله، وبقي في دار سلمى بنت الحارث، بحجة أنه سيحرس لقومه رواحلهم ومتاعهم، ثم قال لهم:

- لن أتبع محمدًا، حتى يجعل لي الأمر من بعده!!

أي أن مسيلمة يريد أن يخلف محمدًا في النبوة، وفي حكم المسلمين بعد وفاته.

ترك رجال بني حنيفة مسيلمة، مع شيطان آماله، واتجهوا إلى رسول الله ﷺ، حيث أعلنوا أمامه إسلامهم، وقالوا:

- نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قال الرجال للرسول:

- يا رسول الله.. قد تركنا أحدنا يحرس لنا رواحلنا ومتاعنا.

ألهم الله رسوله أن هذا الشخص الذي رفض أن يأتي إليه هو شخص مملوء شرًا وحقدًا عليه وعلى المسلمين.

كان الرسول يدرك سوء هذا الشخص. إنه مسيلمة، فاصطحب مَعَهُ ثابت بْن قيْس(١)، وهو الذي يقال له خطيب رسول الله وفي يد رسول الله قضيب من جريد، وذهبا للقائه.

ما كاد مسيلمة يرى رسول الله، حتى قال له في عظمة وتعالى:

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس، أنصاري من الخزرج، كان أحد كتاب الرسول، وكان يعرف باسم خطيب الأنصار وخطيب رسول الله. شهد أحدًا وما بعدها. استشهد في حرب اليمامة سنة ١٢ هـ. (الإصابة ج١ ص٢٥٦).

- إن شئتَ خليت بينك وبين الأمر، ثم جعلتَه لنا بعدك.

كلمات من مسيلمة تفيض حقدًا وحسدًا لما ناله الرسول والمسلمون من النصر والنجاح.

أشار رسول الله إلى القضيب في يده، وقال لمسيلمة في ثقة:

- لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه، وإني لأراك الذي أريتُ فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس سيجيبك عني.

كان الرسول بهذا يعني تلك الرؤيا التي رآها ذات يوم وأخبر بها أصحابه، قال لهم:

- «**بينما أنا نائم أريتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب، فنفختهما فطارا، فأوَّلتهما كذابين يخرجان.**

فكان أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن، والآخر مسيلمة الكذاب»[1].

انتهى اللقاء بين الرسول ومسيلمة، وعاد رجال بنو حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب إلى ديارهم.

(٣)

عاد مسيلمة إلى دياره في بني حنيفة، وهو ينوي الشر، وقد امتلأ قلبه بالحقد على محمد والإسلام.

---

(١) المسند الجامع ج٢١ ص ٢٣٢.

ادعى مسيلمة لقومه أنه نبي، يأتيه وحي من السماء، وألف بعض كلمات مسجوعة، قال عنها أنها آيات قرآنية ينزلها عليه مَلَك اسمه الرحمن. من هذه الآيات المسجوعة: والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة سمنا، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر!! [(١)].

أوهم الشيطان مسيلمة الكذاب بقدرته على مناوأة رسول الله، وللأسف صدقه بعض من قومه، واتبعوه، وزيادة في الكفر، كتب رسالة إلى رسول الله بعثها مع اثنين من أتباعه هما: أسامة بن أثال، وابن النداهة.

قدم الرسولان إلى المدينة المنورة، ومعهما كتاب مسيلمة الكذاب.. والتقيا برسول الله، وقدما إليه كتاب مسيلمة الكذاب الذي كان نصه:

من مسيلمة رسول الله. إلى محمد رسول الله.

سلام عليك. أما بعد.

فإني قد أشركت في الأمر معك، فإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر، ولكن قريشًا قوم يعتدون[(٢)].

سأل الرسول رجلي مسيلمة:

- أتشهدان أني رسول الله؟

في إصرار وتبجح وتعالٍ، قال الرجلان:

- نشهد أن مسيلمة رسول الله.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ج١، ٨٧٨.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص٩٨، وقد روى البخاري نص هذه الرسالة في صحيحه.

كان هذا معناه أن الرجلين كافران، وأنهما يستحقان القتل، لكن الرسول قال لهما بحلم:

- آمنت بالله ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما.

كانت هذه قاعدة استنها الرسول بعدم قتل الرسل والسفراء المرسلين.

أحس الرسول بالجريمة التي يرتكبها مسيلمة في حق نفسه والإسلام.

مع ذلك.. كتب الرسول كتابًا إلى مسيلمة الكذاب، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله

إلى مسيلمة الكذاب.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[١].

(٤)

عاد الرجلان إلى صاحبهما مسيلمة بكتاب رسول الله الذي أدرك منه أن الرسول لن يسمح له بتحقيق أغراضه وأهدافه التي يحاول بها أن ينال من الإسلام.

استعظم أمر مسيلمة، وادعى النبوة، وتبعه كثير من قومه بني حنيفة، وراحوا يتشيعون له.

لذلك كان على الرسول أن يعيد مسيلمة إلى عقله وإلى الحقيقة. أن

(١) المصدر نفسه ج٤ ص٩٨، وقد روى البخاري نص هذه الرسالة في صحيحه.

يبعث إليه من عنده سفيرًا، ليرده إلى الصواب، وأن لا فائدة مما يدعيه، فمن يقوم بهذه المهمة الصعبة؟

وقع اختيار الرسول على حبيب بن زيد الذي سعد بثقة الرسول ﷺ فيه، فأخذ الرسالة وودعه الرسول متمنيًا له النجاح في سفارته.

ودع حبيب بن زيد أمه أم عمارة، ورغم مخاوفها عليه، إلا أنها شجعته ودعت له بالتوفيق، فهذه المهمة. صورة من صور الجهاد في سبيل الله.

(٥)

مضى حبيب بن زيد في طريقه، يصعد الروابي، ويهبط الأودية، ويدور حول الآكام، حتى وصل إلى ديار بني حنيفة في نجد.

علم حبيب أن مسيلمة يقيم في قصر كبير يحوطه كثير من حراسه وأتباعه فمضى إليه، ودخل القصر حتى وجده.

في غلظة وخشونة.. لقي مسيلمة حبيب بن زيد سفير الرسول إليه.

ما كاد مسيلمة يقرأ رسالة رسول الله إليه؛ حتى اربدَّ وجهه، وازدادت سحنته عبوسًا، وتقلصت عروقه، وعلا وجهه سواد مشوب بصفرة، يعلن عما يدور في نفسه من أفكار ومشاعر، كانت عيناه تتطاير منهما نظرات كأنها شرر، أو سهام مسمومة!!

سرعان ما التفت مسيلمة إلى رجاله، وقال لهم:

- اقبضوا على هذا الرجل الذي بعثه محمد، وقيدوه بقيود من حديد لا يستطيع منها فكاكًا.

أسرع إلى زيد رجال قساة.. غلظت سواعدهم، وتنمرت عيونهم، وقيدوا حبيبًا الذي لم يرع لما سمع، كان ثابت الجأش، قوي العزيمة، لم يرهبه الموقف، كان شجاعًا.

في غلظة، قال مسيلمة لرجاله:

- اقتلوا سفير محمد، اذبحوه.. افصلوا رأسه عن جسده.

بينما كان الرجال ينفذون أمر سيدهم، قال لهم:

- قطعوه قطعًا، كل عضو قطعة، ليكون عبرة لكل من يعترض على نبوة مسيلمة.

هكذا كان موقف مسيلمة من سفير رسول الله إليه. قتل حبيبًا.

هناك فرق بين معاملة رسول الله لسفيري مسيلمة الكذاب.. ولم يقتلهما، لكن مسيلمة قتل سفير الرسول إليه.

(٦)

علم الرسول بما حدث لحبيب بن زيد، فساءه موقف مسيلمة الكذاب، لكنه كان يدرك أن الله سينتقم من هذا الكذاب السفاح، وحزنت أم حبيب نسيبة أم عمارة على ابنها الحبيب حبيب!!

وإذا كانت المنية عاجلت برسول الله.. توفى قبل أن يقضي على مسيلمة، فقد كان على أبي بكر الصديق خليفة الرسول أن ينتقم لحبيب بن زيد، وأن يعيد المرتدين إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى.

كانت نسيبة أم عمارة أم حبيب، وكذلك كان أخوه عبد الله[1] في لهفة للانتقام من مسيلمة الكذاب، لذلك أصرت أم عمارة أن تشترك مع ابنها عبد الله في الجيش الذي كونه أبو بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد؛ لقتال مسيلمة.

التقى جيش خالد بن الوليد، وفيهم عبد الله بن زيد وأمه نسيبة أم عمارة مع جيش مسيلمة، وكانت معركة حاسمة، وحينما أحس مسيلمة أن الأرض تضيق عليه، هرب إلى داخل حديقة مسورة، يريد الإفلات، لكن سرعان ما تواثب المسلمون على سور الحديقة، وحاصروا مسيلمة، وشاء الله أن يكون وحشي الحبشي[2] أحد رجال جيش المسلمين، سدد وحشي طعنة حربة إلى صدر مسيلمة، فهوى عن فرسه.. وأعجله عبد الله بن زيد وأمه نسيبة بعدة طعنات، لتنتهي به الحياة.. جزاءً وفاقًا لسوء ما فعل، بينما كانت أم عمارة والمسلمون يهتفون:

- الله أكبر، قتل الكذاب مسيلمة!!

وهكذا استطاعت نسيبة بنت كعب، وابنها عبد الله أن ينتقما ممن قتل ابنها حبيب بن زيد؛ لتكون صفحة تاريخ شريفة لآل بيت زيد بن عاصم.

رحم الله حبيب بن زيد، وجزاه خيرًا عن جهده في سبيل الله، وتحمله مشاق مهمة سفارته إلى مسيلمة الكذاب، وما لاقاه على يديه، وكفاه فخرًا أنه مات شهيدًا في سبيل إعلاء كلمة الإسلام.

---

(١) هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب. أخو حبيب بن زيد. شهد أحدًا وشارك وحشي بن حرب في قتل مسيلمة الكذاب. توفي سنة ٦٣هـ. (الإصابة ج٢ ص٤١٩).

(٢) وحشي الحبشي: هو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله يوم أحد بتحريض من هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان. أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

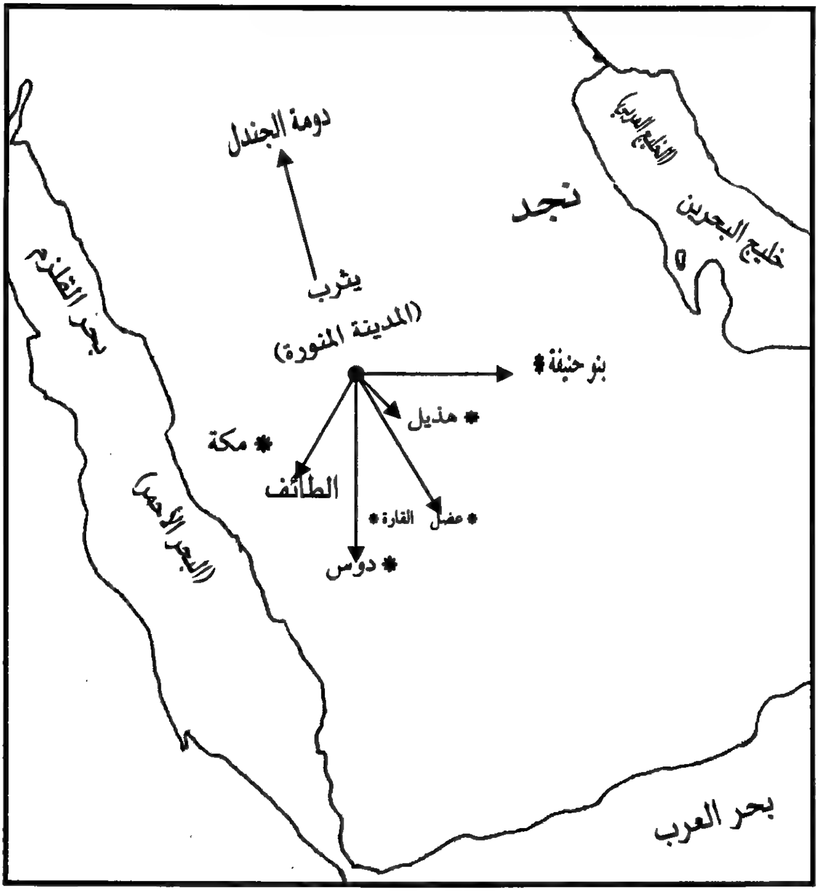

شكل (١)

اتجاه سفراء الرسول إلى القبائل

الفصل الرابع

سفراء الرسول إلى الملوك والرؤساء
خارج شبه الجزيرة العربية

تمهيد:

أثبتنا في الفصل الأول أن الإسلام دعوة عالمية لا تقتصر على شعب دون آخر، ولا على منطقة دون غيرها، وإنما تمتد إلى شعوب وأجناس العالم أبيضهم وأسودهم وأصفرهم.. أغنيائهم وفقرائهم.. سادتهم وعبيدهم، مهما اختلفت لغاتهم ولهجاتهم، وسابق دياناتهم.

وإذا كان محمد رسول الله ﷺ قد نجح في نشر دعوة الإسلام في المدينة المنورة ومكة المكرمة، ثم في كثير من أنحاء شبه الجزيرة العربية، بين قبائلها وسكانها، فقد كان عليه أن ينشرها خارج شبه الجزيرة العربية إلى ما حولها من ممالك وإمارات ودول.

لذلك؛ اختار الرسول ﷺ سفراء له يمتازون بالحكمة، وحسن التصرف، والقدرة على مواجهة المواقف الصعبة، وسرعة البديهة، وأن يكون هؤلاء على دراية بظروف ولغة كل دولة.

وأعطى الرسول لكل سفير من هؤلاء السفراء كتابًا مختومًا بخاتمه، يدعو المرسل إليه.. ملكًا أو أميرًا وشعبه، إلى الإسلام.

وإذا كان بعض هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء، قد رحبوا بسفراء الرسول ﷺ، وأعلنوا إسلامهم، فإن آخرين رفضوا الإسلام، واتخذوا

موقف العداء والعنف، وبين هؤلاء وهؤلاء من آمنوا بالإسلام، ولكنهم كتموه في صدورهم، خوفًا من سادتهم أو رجال دينهم.

وفي هذا الفصل من الكتاب، نتعرض لسفراء الرسول ﷺ والدول التي أرسلوا إليها، وموقف ملوك ورؤساء وأمراء هذه الدول من دعوة الإسلام، مع ترجمة وافية لحياة كل سفير من هؤلاء السفراء.

* * *

دِحْيَةُ بن خليفة الكلبِّ

سفير رسول الله ﷺ

إلى هِرَقْل إمبراطور الرُّوم

(١)

بعد جولة في السوق.. اتجه الرسول ﷺ إلى دار السيدة عائشة، يصحبه رجل وضيء الوجه، فاض عليه البشر، مشرق الطلعة، تملأ الابتسامة وجهه الجميل.

كم من فتيات المدينة نظرن إلى وجه هذا الرجل، وكم تمنت كثيرات منهن أن يكون هذا الرجل المشرق زوجًا لها!!

حتى وصل الرسول ﷺ بصحبة الرجل إلى داره.

سألت عائشة رسول الله ﷺ:

- من هذا الرجل الذي جاء بصحبتك؟

ابتسم الرسول في وجه عائشة، وقال لها:

- أما رأيته وعرفته؟

قالت عائشة في ثقة:

- بلى.. إنه يشبه دحية الكلبي[١].

كبرت الابتسامة على وجه رسول الله، وهو يقول:

- إنه ليس دحية.. إنه جبريل عليه السلام، كثيرًا ما يأتيني بوحي من عند الله في صورة دحية الكلبي.

---

(١) هو دحية الكلبي بن خليفة بن فروة بن زيد بن امرئ القيس من بني كلب. صحابي أنصاري من الخزرج، كان تاجرًا غنيًا، كان جبريل عليه السلام يأتي إلى رسول الله ﷺ في صورته، لجمال وجهه، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا والخندق وكثيرًا من المشاهد مع رسول الله، أهدى الرسول إليه نعلين، فلبسهما، وأهداه الرسول قبطية (ثوب من القباطي). (الإصابة ج١ ص٦٢٤).

(٢)

كانت أمور المسلمين في المدينة المنورة تسير على خير ما شاءها الله، وكما تمناها رسوله، فقد انتصر المسلمون على قريش في بدر والخندق، وطهروا المدينة المنورة من كثير من القبائل اليهودية، وارتفعت راية الإسلام، واتسعت ظلاله.

كان ذلك في صيف سنة ٦ هـ، بعد أن عاد الرسول والمسلمون من مكة، وتعاهدوا مع قريش في صلح الحديبية على أن يعودوا في العام القادم للعمرة والطواف حول الكعبة. هذه المعاهدة التى عرفت باسم (صلح الحديبية)[١].

* * *

في جلسة للرسول ﷺ مع أصحابه، قال لهم:

«أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم.

فقال أصحابه:

وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: **دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثًا قريبًا، فرضي وسلم، وأما من بعثه مبعثًا بعيدًا، فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون**

(١) كان صلح الحديبية سنة ٦ هـ.

وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها»[1].

ثم أخبر الرسول أصحابه أنه سيرسل رسله إلى الملوك والأمراء والرؤساء خارج المدينة، يدعوهم في كتبه إليهم إلى الإسلام.

سعد الجميع بما سمعوا، واستعدوا للقيام بهذه المهمة عن رضا وطيب خاطر.

صنع الرسول لذلك خاتمًا من فضة.. نقش عليه (محمد رسول الله).

كان اختيار الرسول هذا الوقت لإرسال رسله إلى ملوك ورؤساء الدول المجاورة لعدة أسباب منها:

١- أن المسلمين في تلك الفترة، كانوا في هدنة مع قريش، فلا قتال فيها بعد صلح الحديبية.

٢- أن الإسلام قد ذاع صيته، وارتفعت رايته، بعد انتصار المسلمين على قريش في عدة معارك؛ بدر والخندق.. وغيرها.

٣- كان المسلمون قد تم لهم القضاء على اليهود، وطهروا المدينة من شرورهم، بعد أن طردهم من خيبر آخر معاقل حصونهم.

٤- دعوة الإسلام دعوة عالمية، ليست مقصورة على مكة والمدينة، وإنما كان الرسول مطالبًا بنشر دعوة الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية.

---

(١) سيرة ابن هشام ج٦ ص١٣.

(٣)

كان العالم في ذلك الوقت تتنازعه قوتان كبيرتان عظيمتان، هما: دولة الفرس في جنوب آسيا، ودولة الرومان في غرب آسيا وجنوب أوربا.. كل منهما تتصارع على السيادة على العالم.

ففي سنة ٦١٤م انتصر الفرس على الرومان، وانتزعوا منهم بلاد الشام، ودمروا كثيرًا من الكنائس المسيحية، وأخذوا الصليب المقدس[١]، وكثيرًا من الغنائم والأسرى إلى عاصمتهم في المدائن، كما استولوا سنة ٦١٦هـ على مصر، انتزعوها من قبضة الرومان.

ثم شاء الله بعد ذلك أن ينتصر الرومان على الفرس سنة ٦٢٣م[٢]،

---

(١) الصليب المقدس: هو الصليب الخشبي الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح عيسى عليه السلام قد صلب عليه، وعثرت عليه القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين، فنظفته، وزينته بالجواهر، ووضعته في كنيسة بيت المقدس، فلما استعاده الرومان من الفرس، وضعوه في كنيسة صوفيا بالقسطنطينية (فتح مصر. ترجمة فريد أبو حديد ص ٤٣٠).

(٢) تعرض القرآن الكريم لقصة هذه الحروب بين الرومان والفرس، فحينما انتصر الفرس على الروم.. سعد رجال قريش، فقد انتصر الفرس، وهم وثنيون على الروم وهم أهل كتاب، واعتقد رجال قريش أنهم سيتصرون على المسلمين أهل القرآن الكريم، وشاء الله أن يطمئن قلوب المسلمين، فأنزل على رسوله الكريم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ - ٥]. لذلك تراهن أبو بكر مع أبي بن خلف على عشر نياق أن الرومان سينتصرون على الفرس في ثلاث سنوات، حينما علم رسول الله بذلك، قال لأبي بكر:

-زد في الخطر وأبعد الأجل.

وقد كسب أبو بكر الرهان، حينما انتصر الرومان على الفرس بعد سبع سنوات سنة ٦٢٣م، فطلب منه الرسول أن يتصدق به.

واستردوا أملاكهم، واستعادوا الصليب المقدس.

أعلن رسول الله لأصحابه أنه سيرسل رسولاً إلى هرقل[١] إمبراطور الروم، واختار لهذه المهمة الصحابي الجليل دحية الكلبي.

طلب الرسول من أحد كتابه أن يكتب رسالة إلى هرقل.

جاء في هذه الرسالة التي كتبت على جلد مدبوغ:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله.

إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد..

فأسلم.. تسلم.

وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين.

فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين[٢]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣] (خاتم الرسول).

---

(١) هرقل: أحد أباطرة الرومان (٦١٠- ٦٤١) وقد عاش كثيرًا من الأحداث مع المسلمين.. انتصر عليه المسلمون في معركة اليرموك.

(٢) الأريسيون: المقصود بهم الفلاحون والمزارعون الذين يتبعون هرقل في مملكته، أو الذين كانوا يتبعون أريوس، وكان هؤلاء الأريسيون يكفرون بفكرة تأليه المسيح، ويدعون إلى وحدانية الله، اعتنق هذا الرأي كثير من أهل الشام ومصر والحبشة.

(٣) الآية من سورة آل عمران رقم: ٦٤ (الوثائق السياسية ص١١١).

كان رسول الله ﷺ والمسلمون يعلمون أن هرقل في هذه الفترة يقيم في إيلياء (بيت المقدس)، ليشارك أهلها الاحتفال بالنصر على الفرس.

كان الرسول يعلم عن دحية الكلبي أنه على دراية كبيرة بالطريق إلى الشام، سار فيه بقوافل تجارته عدة مرات، فخبر مسالكه ودروبه، كما كان دحية على دراية بالتعامل مع أهل هذه المنطقة.

لذلك اختار الرسول ﷺ دحية، ليكون سفيرًا له إلى هرقل، واثقًا من قدرته وحكمته وخبرته ورجاحة عقله على القيام بهذه المهمة.

سعد دحية كثيرًا بثقة الرسول فيه، فحمل رسالته، واتجه إلى الشام مارًا ببصرى، ثم إلى إيلياء.

مضى دحية، يطوي الطريق.. يصعد الروابي، ويهبط الأودية، يمني نفسه بالنجاح في هذه المهمة

حتى وصل إلى إيلياء..

(٤)

في إحدى الليالي.. هدأ هرقل في فراشه، يستحث الغمض، حتى إذا لعب الوسن بجفنيه، فرأى حلمًا عجيبًا أفزعه!!

رأى هرقل أن ملك الختان قد ظهر، فأصابه هم وخوف، فلما سأل قومه عما يؤرق فكره أخبرهم رؤياه، فقالوا لهم:

- أيها الملك، ما تُعلم أمة تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك، وتحت

أمرك، فابعث إلى كل من لك سلطان عليه، وامر، فلتضرب أعناق كل من تحت يده، فتستريح.

فبينما هرقل يتحدث إلى رجاله، أقبل عليه صاحب بصرى، وقال له:

- جاءني اليوم أحد رجال مكة، من أهل القوافل، وأخبرني أنه ظهر فيهم رجل يزعم أنه نبي، اتبعه ناس وصدقوه، وحالفه آخرون، وكانت بينهم ملاحم.

طلب هرقل من صاحب بصرى أن يأتيه بهذا الرجل.

كان هذا الرجل هو سفيان بن حرب.

كان دحية الكلبي قد وصل إلى حيث كان يوجد هرقل، فأخبر هرقل حراسه أن يسمحوا له بالدخول له.

في أدب واحترام وثقة دون أن يسجد، دخل دحية إلى مجلس هرقل.

واجتمع الثلاثة: هرقل ودحية، وأبو سفيان ومعه بعض رجاله.

اتجه هرقل إلى رجال أبي سفيان، وسألهم:

- أيكم أقرب نسبًا إلى محمد الذي يزعم أنه نبي؟

قال أبو سفيان[١]:

- أنا أقربهم إليه نسبًا.

---

(١) قصة هرقل مع أبي سفيان رواها البخاري مطولة في صحيحه برقم (٧)، تفسير ابن كثير- باب ٦٤- ج٢ ص٥٦، والبداية والنهاية ج٥ ص ٦٣٣. مما يدل على أن أبا سفيان كان في الشام في تلك الفترة أنه لم يظهر خلال أحداث عمرة القضاء سنة ٧هـ في مكة حين دخلها المسلمون وطافوا بالكعبة.

ودار حوار طويل بين هرقل وأبي سفيان.

سأل هرقل:

- كيف نسب محمد فيكم؟

أجاب أبو سفيان:

- هو فينا ذو نسب.

سأل هرقل:

- فهل كان من آبائه ملك، أو أمير حاكم؟

قال أبو سفيان:

- لا. ليس فيهم من ملك ولا أمير.

سأل هرقل:

- فهل كان في أهل بيته من يقول مثل ما يقوله، فهو يتشبه به؟

قال أبو سفيان:

- لا.

سأل هرقل:

- فهل يتبعه أشراف الناس، أم ضعفاؤهم؟

قال أبو سفيان:

- بل الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، يزيدون، ولا يقلون.

سأل هرقل:

- فهل يرتد أحد سخطًا لدينه بعد أن يدخل فيه؟

أجاب أبو سفيان:

- لا. كل من يدخل دينه يحبه ويتمسك به، ويلزمه ولا يفارقه.

سأل هرقل:

- فهل تتهمونه بالكذب؟ وهل يغدر بكم؟

قال أبو سفيان:

- لا. ما جربنا عليه كذبًا، ولكن عهدناه صادقًا أمينًا، حكيمًا.

سأل هرقل:

- فهل قاتلتموه؟

قال أبو سفيان:

- نعم.

- سأل هرقل:

- فكيف كانت حربكم معه؟

لا شك أن صورًا كثيرة عادت إلى ذهن أبي سفيان، كان قد حضرها وعاشها يوم أحد ويوم الخندق، فقال لهرقل:

- الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا، وننال منه.

سأل هرقل:

- فماذا يأمركم به؟

أجاب أبو سفيان:

- يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما كان يعبده آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف، وصلة الرحم.

التفت هرقل إلى أبي سفيان، وقال له:

- فكذلك الرسل.. تبعث في نسب، فإن كنت ما تقوله حقًا، فسيملك هذا الرجل موضع قدمي هاتين.

كان هرقل على علم بالإنجيل، وكان يعلم أن نبيًا جديدًا سيبعث، فقال لرجال قريش:

- كنت أعلم أنه سيخرج نبي.. لم أكن أظنه واحدًا منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه.

كان دحية الكلبي سعيدًا بما يسمعه.

***

قال هرقل لدحية:

- يا دحية: اعلم أن صاحبك هو النبي الذي بشر به عيسى، نجده في كتابنا، وكنا ننتظره، لكني أخاف أن أدخل في دينه، فاذهب إلى صفاطر[1]، واذكر له أمر صاحبكم وانظر ماذا يقول فيه.

ذهب دحية إلى صفاطر وحدثه عن الرسول كثيرًا وصفاته، والكتاب الذي أرسله إلى هرقل. قال صفاطر:

- أن صاحبك هذا الرسول، خاتم الأنبياء، كل صفاته في كتبنا. اعلم هذا، ويعلمه ابن الناطور أسقف كنيسة إيليا، وكثير من الأساقفة والرهبان.

وأعلن صفاطر إسلامه لدحية.

---

(١) صفاطر (ضغاطر) كان كبير أساقفة إيلياء، وكان الروم يحترمونه لعمق دراسته في الإنجيل. أثناء اشتعال ثورة رجال الدين على هرقل، خلع صفاطر ملابسه، ولبس ملابس بيضاء وخرج إليهم وأعلن إسلامه، فثار عليه القساوسة والرهبان وقتلوه.

(٥)

في حضور كثير من الأساقفة والبطارقة.. طلب هرقل من المترجم أن يعيد على مسامع القوم ما جاء في هذا الكتاب، فما كاد المترجم يفعل..

حتى أعلن هرقل إسلامه بين سعادته وسعادة دحية الذي نجح في مهمته.

كان أبو سفيان ما يزال حاضرًا مجلس هرقل، فاتسعت دهشته وحيرته مما سمع، وراح يضرب إحدى يديه بالأخرى، والتفت إلى واحد من رجاله، وقال له:

- يا عجبًا لمحمد، ها هم بنو الأصفر، وها هو زعيم أكبر دولة يؤمن بدعوة محمد، ويثق بما جاء به، ويعلن إسلامه، ويهابه.. لاشك أن دين محمد سيعلو، ويظهر وينتشر!!.

* * *

فوجئ رجال هرقل بأن سيدهم قد أعلن إسلامه، وقال لهم:

- يا معشر الروم: إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وأنه والله النبي الذي ننتظره ونجده في كتبنا، لاشك فيه، فاتبعته وصدقته.

ثار القساوسة والبطارقة على هرقل، وحدث صخب وضجيج، حتى خرج الثائرون على هرقل، وتركوه في حيرته ماذا يفعل؟ فهو يوقن أن محمدًا رسول الله، ولكن الأساقفة والبطارقة يرفضون دعوة محمد ودينه،

ويتمسكون بالمسيح عيسى وحده نبيًا لهم، والإنجيل كتابًا لهم.

ربما اقتنع بعض الأساقفة بدعوة الرسول، كان منهم ابن الناطور، وصفاطر كبير الأساقفة، لكن معظم الأساقفة رفضوا الإسلام، وكادوا يفتكون بدحية سفير رسول الله.

فبينما كانت الثورة تشتعل، إعلانًا على إسلام هرقل، همس أحد الأساقفة لزميله:

- هكذا يريد هرقل ضياع هيبة المسيح أمام أعدائه من الفرس الوثنيين، يريد أن يتخلى عن مسيحيته ليعتنق دين نبي مزعوم، إنها بداية لنهاية هرقل، أو يعود إلى صوابه.

وكانت ثورة الأساقفة والبطارقة ثورة عارمة، اجتاحت هيبة هرقل ومن اتبعوه في رأيه، فقد أحس هؤلاء بضياع مكانتهم وهيبتهم بين الشعب.

أصبح هرقل في موقف لا يحسد عليه.

صحيح أنه مقتنع بنبوة محمد ورسالته التي بشر بها المسيح عيسى، ولكنه لا يستطيع الوقوف في مواجهة رجال الدين الذين خذلوه، مما يخشى على ضياع سلطانه.

لذلك، نكص هرقل عهده، طمس الشيطان على قلبه، آثر عز الدنيا دون الآخرة، وتخاذل عن موقفه، وأنكر ما قاله؛ إرضاءً لرجاله، وعاد يقول لهم:

- كانت دعوتي لكم للدخول في الإسلام اختبارًا لقوة إيمانكم، ولأعرف مدى صلابتكم في دينكم، دين المسيح عيسى، وأحمد الله أنكم

ثابتون على مسيحيتكم مما ضاعف من سعادتي وسروري بكم، وهذا ما أريده منكم.

(٦)

أطفأت كلمات هرقل لهيب ثورة رجاله عليه، إنه يعلن لهم إنكاره لدعوة محمد، لقد اختار خير الدنيا على الآخرة.

ولو كشف عن هرقل حجاب الزمن في ذلك الوقت، لعلم أنه لن يستمر في حكمه طويلاً، وأن نهاية ملكه ستكون على أيدي خلفاء محمد.

لاشك أن سعادة كبيرة ملأت وجوه القساوسة والبطارقة، فخروا ساجدين.

ثم استدعى هرقل أحد كتابه، وأمره أن يكتب رسالة إلي الرسول ﷺ جاء فيها:

إلي أحمد رسول الله ﷺ الذي بشر به عيسي.

من قيصر ملك الروم.

إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله ﷺ ، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسي ابن مريم، وإني دعوت الروم إلي أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيرًا لهم، و لوددت آتي إليك، فأخدمك واغسل قدميك.

* * *

هكذا انتهت مهمة دحية.... أعطاه هرقل الكتاب إلي رسول الله، فعاد إلي المدينة المنورة.

أخبر دحية تفاصيل ما حدث بين أبي سفيان وهرقل، وما كان من أمر القساوسة والبطارقة، وكيف تردي هرقل، وتنكر للحق، واتبع هوي رجاله الذين أضلهم الشيطان.

فقال الرسول:

- **يبقي ملكهم ما بقي كتابي عندهم.**

(٧)

عاد دحية الكلبي يشارك الرسول والمسلمين الأحداث التي كانت تعيشها المدينة المنورة.

كان دحية حاضرًا بالمدينة، حينما تهيأ المسلمون بتكوين جيش للقاء الرومان في مؤتة.

كان ذلك في جمادى الأولي سنة ٨هـ أي بعد عودة دحية من الشام بخمسة شهور.

لقد أحس هرقل بأن الإسلام ستعلو رايته، وأنه يهدد أمن الرومان وأرضه.. لذلك كان علي هرقل أن يقضي علي هذا الدين ورسوله ومن اتبعوه، هكذا سول له شيطانه بالسوء، فكوَّن جيشًا قوامه ١٠٠,٠٠٠ مقاتل لمهاجمة المدينة المنورة وعلم الرسول، فاستعد بجيش كبير، وإن كان أقل عددًا وعتادًا من جيش الروم.

وأمَّرَ عليه ثلاثة من كبار قادة المسلمين هم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، علي أن يتولوا القيادة واحدًا بعد الآخر،

وكان معهم خالد بن الوليد، والتقي الخصمان: المسلمون والروم في معركة مؤتة التي استشهد فيها الأبطال الثلاثة، مما أحزن الرسول عليهم.

ليس لدينا ما يؤكد أو ينفي أن دحية اشترك في هذا الجيش...

(٨)

وعلم الرومان بانتصار المسلمين علي قريش، وفتح مكة في رمضان سنة ٨هـ، ولذلك أدرك هرقل مدي خطر الإسلام عليه، فجهز جيشًا لمهاجمة المدينة المنورة.

كان ذلك سنة ٩هـ، وتجهز المسلمون بجيش عرف باسم جيش العسرة.

وسار جيش المسلمين للقاء العدو .. ولكن الأعداء هربوا جبنًا وخوفًا.

من تبوك .. بعث الرسول برسالة جديدة إلي هرقل، جاء فيها:

من محمد رسول الله

إلي هرقل صاحب الروم.

إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية فإن الله عز وجل يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَلاَ بِالْيَوْمِ الآَخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية»[1].

(١) كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي (والآية من سورة التوبة رقم: ٢٩).

حينما وصلت رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل..

جمع هرقل قسسه وبطارقته، وقال لهم:

- لقد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إليَّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، أو نلقى إليه الحرب، والله لقد علمتم فيما تقرؤونه من الكتب، ليأخذن هذا الرجل ما تحت قدمي، فهلم، فلنتبعه على دينه، أو نعطه مالنا على أرضنا.

لكن القساوسة والبطارقة ثاروا، وقالوا لهرقل:

- تدعونا إلى أن نذر النصرانية، أو نكون عبيدًا لأعرابي جاء من الحجاز.

فأمر هرقل كتابه أن يكتبوا كتابًا إلى رسول الله ويعطوه للتنوخي[(١)] ليسلمه إلى الرسول.

سلم التنوخي رسالة هرقل إلى الرسول، فأعطاها إلى معاوية بن أبي سفيان، فقرأها، وجاء فيها:

- إني مسلم، ولكني لا أدع ملكي.

وبعث هرقل مع التنوخي إلى الرسول بدنانير.

فلما سمع الرسول ما جاء في الرسالة، قال لمن حوله: كذب.

وقسم الرسول الدنانير على أصحابه.

---

(١) التنوخي: أصله من قبيلة تنوخ الذين كانوا يسكنون الحيرة بالعراق، مما يروى أنه حضر موقف كسرى حين مزق كتاب رسول الله!! كان التنوخي متمسكًا بمسيحيته، حمل رسالة هرقل الثانية إلى الرسول، عرض عليه الرسول الإسلام، فأبى، وأقام بحمص إحدى مدن الشام. (المنجد ص١١٤، الرسول المبلغ ص١٤٦).

(٩)

استمرت حياة دحية الكلبي في المدينة، يشارك الرسول والمسلمين انتصاراتهم وسعادتهم باتساع رقعة الإسلام، وحزن لوفاة الرسول.

وبقى دحية بجوار أبي بكر يؤازره في جهوده، ومن بعده «عمر بن الخطاب».

ومضت الحياة بدحية الكلبي سعيدًا بانتصارات المسلمين، وشاء الله أن يشترك في معركة اليرموك، وأن يساهم في تحقيق النصر للإسلام، ولا شك أن صورة هرقل عادت إليه في كثير من المواقف التي عاشها معه حين جاءه يحمل رسالة رسول الله.

حتى إذا شاء الله لدحية أن تنتهي به الحياة في عهد معاوية، كان قد حقق واجبه كمسلم.

رحم الله دحية بن خليفة الكلبي، وجزاه خيرًا عما تحمله من مشاق وجهاد، وما قدمه للإسلام والمسلمين في إعلاء كلمة الإسلام والتي كانت جهوده بداية لدخول الإسلام الشام، وسيطرة المسلمين على كثير من أملاك هرقل.

عَبْدُ اللّٰه بِنْ حُذَافة السَّهْمِى

سفير رسول اللّٰه

إلى كسرى ملك الفرس

(١)

أشرق نور الإسلام على مكة، حين دعا محمد بن عبد الله ﷺ الناس فيها إلى دعوة التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، فأنار الإسلام بنوره قلوب بعض منهم، وطمس الشيطان على قلوب آخرين، غشيت عيونهم عن الحقيقة.

كان عبد الله بن حذافة[١] واحدًا من السابقين إلى الإسلام، أعلن إسلامه مبكرًا، فقاسى الكثير من العنت والعذاب من كفار قريش الذين حاولوا أن يفتنوه عن دينه، ولكنه صمد وصبر، وتحمل التعذيب، حتى نصحه رسول الله ﷺ وغيره بالهجرة إلى الحبشة.

في الحبشة.. عاش عبد الله بن حذافة في أمن وسلام، في حماية رجال

---

(١) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد. قرشي من بني سهم، كان يكنى أبا حذافة، وهو أخو خنيس بن حذافة الزوج الأول لحفصة بنت عمر بن الخطاب، قبل أن يتزوجها الرسول (الإصابة ج٢ ص ٢٩٦).
للأسف، فقد زعم صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة عبد الله بن حذافة، أنه كان رجلاً يحب المداعبة، ويكثر منها، ومما يروي عنه أن الرسول أمره على سرية، فأمر رجاله بجمع الحطب والخشب، ثم أمرهم أن يشعلوا فيها النار، وطلب منهم أن يلقوا بأنفسهم فيها؛ تنفيذًا لأمر الله بوجوب طاعة الله ورسوله وأولى الأمر!!، وأنه ذات يوم حل حزام راحلة رسول الله، حتى كاد الرسول أن يقع.
وأرى أنه ليس من الواجب الخوض في هذا، ونحن نتحدث عن صحابي جليل، له دور في الجهاد في سبيل الله، فهذه الآراء تعطي فرصة للغرب وأعداء الإسلام لينالوا من الصحابة، ولعل الله يقيض للإسلام من ينقي هذه الكتب مما علق بها من شوائب لم تعد تتفق وظروف العصر الحديث. (المؤلف).

النجاشي، حتى شاء الله له العودة إلى مكة، ومنها هاجر إلى المدينة المنورة؛ ليكون بجوار رسول الله، يشاركه الكفاح والجهاد في سبيل الله، ونصرة الإسلام، وإعلاء رايته.

وإذا كانت الظروف لم تسمح لعبد الله بن حذافة بالاشتراك في معارك بدر وأحد والخندق، فقد شارك في رحلة المسلمين إلى مكة للعمرة سنة ٦ هـ، ولاشك أنه شارك في بيعة الرضوان، وحضر صلح الحديبية.

(٢)

في سنة ٧ هـ (٦٢٨م)، بعث الرسول ستة من رسله إلى ملوك ورؤساء الدول خارج شبه الجزيرة العربية، يدعوهم إلى الإسلام.

واختار الرسول عبد الله بن حذافة رسولاً إلى كسرى[١] ملك الفرس.

أمر الرسول أحد كتابه، فكتب رسالة إلى كسرى، جاء فيها:

من محمد رسول الله

إلى كسرى عظيم الفرس

(١) كسري: لقب لملك الفرس، من الساسانيين، من أهم ملوكهم:
- كسري خسرو (شرويه الأول) (٥٣١-٥٧٩) في عهده كان مولد الرسول، وهو الذي وجه جيشًا إلي اليمن.
- كسري أبرويز (٥٩٠-٦٢٨) في عهده دارت الحروب بينه وبين الرومان، وهو الذي بعث إليه الرسول برسالة مع عبد الله بن حذافة.
- كسري أنو شروان وكان اسمه شيرويه، تولى الملك بعد قتل أبيه سنة ٦٢٨.
(المنجد ص ٤٣٨).

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلى الناس كافة؛ لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين.

أسلم.. تسلم، وإن أبيت فعليك إثم المجوس.

***

أخذ عبد الله بن حذافة كتاب رسول الله بعد أن ختمه بخاتم رسول الله.

طلب الرسول من عبد الله بن حذافة أن يذهب أولاً إلى ملك البحرين(١).

كانت البحرين في ذلك الوقت تابعة لسيادة الفرس.

لعل الرسول ﷺ بهذا الرأي أراد أن يخبر ملك البحرين، تمهيدًا لإرسال رسول(٢) إليه، أو لعل الرسول شاء أن يجد عبد الله بن حذافة فرصة للراحة في الطريق الطويل، وأن يدله ملك البحرين علي الطريق إلي المدائن عاصمة كسري.

من المدينة المنورة.. سار عبد الله بن حذافة متجهًا نحو الشرق، يقطع الطريق، يهبط الأودية، ويصعد الروابي، حتى وصل البحرين.

التقي عبد الله بملك البحرين، فأكرم وفادته.

---

(١) البحرين: ليست هي الجزيرة المعروفة الآن والتي عاصمتها المنامة، ولكنها كانت في ذلك الوقت تشمل مساحة كبيرة من ساحل الإحساء الذي يطل علي الخليج العربي (الفارسي في ذلك الوقت) والذي يقع شرق شبه الجزيرة العربية.

(٢) راجع في هذا الكتاب ص ١٥٢ رسالة رسول الله مع العلاء بن الحضرمي إلي المنذر بن ساوي ملك البحرين، يدعوه فيها إلي الإسلام ورد ملك البحرين علي رسول الله ﷺ.

أخبر عبد الله ملك البحرين بمهمته، وأنه يحمل رسالة من رسول الله إلي كسري فارس، يدعوه فيها إلي الإسلام.

لا شك أن ملك البحرين شعر بصعوبة المهمة الملقاة علي عاتق عبد الله، فقد كان يعلم عن كسري أبرويز نزقه وعصبيته وغطرسته وتمسكه بمجوسيته، ومع ذلك بعث مع عبد الله من يدله علي الطريق.

كان الطريق إلي المدائن[1] صعبًا محفوفًا بكثير من الأخطار والصعوبات، تحملها عبد الله بن حذافة بصبر وشجاعة، حتى وصل إلى المدائن.

(٣)

أخبر الحراس كسري بمقدم رجل من المدينة المنورة بكتاب يدعي أنه من رسول الله يدعوه فيه إلي الإسلام.

حاول الحراس أن يأخذوا كتاب رسول الله من عبدالله، ليعطوه لكسرى، لكن عبد الله رفض إلا أن يسلم الكتاب بنفسه إلى كسرى.

أخذت العزة كسرى بالإثم، واستكبر، وتباطأ في السماح بدخول سفير رسول الله إليه، حتى هيأ نفسه بالزينة، وأمر رجاله، فنصبوا له ديوانه، وضاعف من حراسه، وجلس على كرسي عرشه، يعلو رأسه تاج مزين

---

(١) المدائن: تشمل عدة مدن قديمة، تقع على جانبي نهر دجلة بالعراق جنوب بغداد بحوالي ٣٠ كم، فتحها العرب المسلمون في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ (٦٣٧م) (المنجد ص٤٨٩، والبداية والنهاية ج ٧ ص٥٣).

بالذهب والجواهر، وحوله كبار رجاله وقواده ووزرائه، وهو يتيه فخرًا وعظمة.

لقد أراد كسرى بهذا أن يدخل في روع سفير رسول الله عظمته وقوته وجبروته.

ثم أمر حراسه أن يدخلوا إليه عبد الله.

رغم كل هذه المظاهر من الزينة والقوة والترف، دخل عبد الله بن حذافة إلى مجلس كسرى في رباطة جأش وثبات وثقة، لم تبهره كل هذه المظاهر، ولم يلتفت إليها، ولم تصرفه عن التركيز في المهمة التي جاء من أجلها، وحينما دخل على كسرى لم يسجد له كما يفعل رجاله، بقى قائمًا منتصبًا في عزة وثبات.

لقى كسرى عبد الله بغطرسة وتعالٍ..

قدم عبد الله بن حذافة كتاب رسول الله إلى كسرى، فأخذه منه بلا مبالاة، وأعطاه لأحد رجاله الذين يجيدون العربية، ليترجمه له.

ما كاد المترجم ينتهي من قراءة الكتاب وترجمته، حتى ثار كسرى، وبعصبية مزق كتاب رسول الله، وقال في غطرسة:

- عبد حقير من رعيتى يكتب اسمه قبل اسمي؟

وازداد غضب كسرى، وتضاعفت عصبيته.

كيف يبدأ هذا الأعرابي مدعي النبوة بكتابه اسمه قبل اسم سيده كسرى؟

وكيف له وهو أحد الأعراب الذين يجب عليهم أن يدينوا له بالولاء والطاعة أن يفعل هذا؟

وكيف يطلب منه هذا العربي أن يترك دينه.. دين آبائه وأجداده، ويتبع دينه الذي يدعو إليه؟!

واشتعل الموقف.. أشعله كسرى بتمزيق كتاب الرسول وعصبيته وغطرسته.

وما يملك عبد الله بن حذافة إلا أن ينسحب.. غادر مجلس كسرى، أسفًا على أنه لم ينجح في مهمته.

ثم غادر عبد الله المدائن عائدًا إلى المدينة المنورة.

* * *

حينما دخل عبد الله على رسول الله ﷺ بعد عودته من المدائن، أحس الرسول بما يعتمل في قلب عبد الله على كسرى.

أخبر عبد الله رسول الله ﷺ بموقف كسرى، وسوء فعله، وأنه مزق الكتاب، فدعا الرسول على كسرى، وقال:

- اللهم مزق ملكه.

ترى؟ هل يستجيب الله لدعوة رسوله على هذا الظالم المتكبر؟

(٤)

لم يكتف كسرى بتمزيق كتاب رسول الله وإهانة عبد الله بن حذافة، بل

استشاط غضبًا، حتى بعد أن غادر ابن حذافة قصره! قال لمن حوله في ثورة:

- كيف لهذا العربي مدعي النبوة أن ينسى أنني سيد العرب والأعاجم؟!

وكيف يسمح لنفسه أن يخاطبني في كتابه بهذه اللهجة، ويحملني مسئولية عقاب ما يحدث لشعبي، إن لم أتبع دينه الذي يدعو إليه؟!

* * *

كانت اليمن في ذلك الوقت دولة تابعة لحكم الفرس، استولوا عليها في عهد ملكهم خسرو أنوشروان الأول.

فبينما كان عبد الله بن حذافة في طريقه إلى المدينة المنورة، بعث كسرى أبرويز برسالة إلى ملك اليمن باذان.

كان كسرى في رسالته إلى باذان يقول له:

ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين جَلْدين من عندك، ليقبضا عليه، وليأتياني به.

لا شك أن كسرى بهذا قد ازداد شططًا وعصبية، فكيف لرجلين من اليمن يستطيعان أن يقبضا على رجل هو نبي يدين له أتباع كثيرون، ويدافعون عنه، ويأتمرون بأوامره؟!

بدا واضحًا أن كسرى قد أصابه هوس الطغاة، فلم يعد يستطيع أن يميز بين الخيال والواقع.

(٥)

وصلت رسالة كسرى إلى باذان ملك اليمن.

بعث باذان برجلين إلى المدينة هما بابويه[1] وخرَّ خسرة للقبض على رسول الله.

مضى الرجلان في طريقهما من اليمن إلى المدينة المنورة، فلما وصلا إلى الطائف، لقيا رجلاً من قريش، فسألاه أن يدلهما على الطريق، وأخبراه أن عليهما أن يقبضا على محمد، فدلهما القرشي على الطريق.

تابع الرجلان سيرهما، حتى وصلا إلى المدينة المنورة.

علم الرسول بمقدم الرجلين، وبالمهمة التي جاءا من أجلها، فتعجب من أمرهما، ومع ذلك أمر بإكرامهما ولقيهما.

تقدم بابويه إلى الرسول، وقال له:

- إن سيدي شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى مولاي باذان كتابًا، يأمره فيه أن يبعث إليك بمن يأتيه بك، وقد بعثني مولاي لتنطلق معنا، فإن فعلت.. كتب سيدي فيك إلى ملك الملوك ينفعك، ويكفه عنك، وإن أبيت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

فقال لهما الرسول:

---

(١) بابويه: كان يعرف باسم قهرمانة، وكان يعمل كاتبًا حاسبًا للفرس. (تاريخ الطبراني ج٢ ص١٥٨).

- فارجعا، حتى تأتياني غدًا.

وأمر رسول الله بإكرامهما، وأن يبيتا ليلتهما عند أحد أصحابه.

شاء الله في تلك الليلة أن يأتي خبر إلى الرسول من السماء، يبلغه أن شيرويه[1] قتل أباه أبرويز في ليلة الثلاثاء في العاشر من جمادى الأولى سنة ٧هـ لست ساعات مضت منها.

لقد استجاب الله لدعوة رسوله، فكيف حدث ذلك؟

في المدائن بينما كان ابن حذافة في الطريق.. قامت ثورة شعبية ضد الملك الظالم المستبد أبرويز الذي كان يسيء إلى كل من يتعامل معه من شعبه، قتل كثيرًا، ونفى آخرين إلى الخارج، وعذب كثيرين، فازدادت العلاقة سوءًا بينه وبين أفراد الشعب وقواده حتى أبنائه.

كان أبرويز قد نفى أبناءه خارج المدائن إلى بابل[2]، حتى يكونوا بعيدين عن العاصمة.

قام الثوار بإعلان خلع الملك، وتوجهوا إلى أبنائه في بابل، ونصبوا ابنه شيرويه ملكًا عليهم.

وتوجه الثائرون مع شيرويه إلى المدائن حيث قتل أباه.

---

(١) هو شيرويه (قباذ) بن كسرى أبرويز. حكم سنة ٦٢٨ بعد أن قتل هو وإخوته السبعة عشر أباه، حكم ١٨ شهرًا فقط.

(٢) بابل: إحدى مدن العراق القديمة، تقع على نهر الفرات قرب الحلة على مسافة ١٦٠ كم جنوب شرق بغداد، أسسها سوموا يوم سنة ٢١٠٥ق. م، وجعلها عاصمة ملكه. بعد توحيد مملكتي سومر وأكاد، جعلها الإسكندر الأكبر عاصمة ملكه في الشرق. (المنجد ص٥٦).

في الصباح.. التقى رسول الله مع الرجلين اليمنيين.. بابويه وخر خسرة. في هدوء ومودة، أخبر الرسول الرجلين بما حدث في المدائن، قال لهما:

- إن ربي قد قتل ربكما كسرى، حيث سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله.

كان ما قاله الرسول للرجلين مفاجأة ألجمتهما.

وطلب الرسول من الرجلين أن يخبرا سيدهما باذان أن الإسلام سيظهر ويعلو، وأن يطلبا منه أن يسلم حتى يبقى ملكه، وحتى لا يهلكه الله كما أهلك ومزَّق ملك كسرى، لأنه طغى وتكبر، ومزق كتاب رسول الله.

سأل الرجلان رسول الله: أفنكتب هذا عنك، ونخبر به الملك؟

قال رسول الله لهما:

- نعم. أخبروه عني ذلك، وقولا له أن ديني وسلطاني سيبلغان ما بلغ كسرى، وسينتهي إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له إن أسلمت، أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء.

لقد كانت هذه دعوة من الرسول إلى باذان للإسلام.

وعاد الرجلان إلى اليمن.

(٦)

التقى الرجلان بسيدهما باذان، وأخبراه بما كان من أمرهما مع رسول الله وما وقع لهما، وما قاله لهما رسول الله.

فما هي إلا أيام، حتى وصلت إلى اليمن أخبار مقتل أبرويز، وتولية شيرويه.

لقد صدق الرسول فيما قاله للرجلين، فما ينطق عن الهوى.

ولأن باذان اقتنع بما حدث، وما قاله له الرجلان، فقد أدرك أن محمدًا على حق، وأنه رسول من عند الله.

لقد شاء الله هداية باذان، وبذلك دخلت اليمن في الإسلام في عهد الرسول ﷺ، وأبقى الرسول باذان ملكًا على اليمن.

* * *

وإذا كانت الظروف لم تحقق على يد عبد الله بن حذافة الهدف الذي بعثه رسول الله من أجله، فإن تتابع الأحداث وتسلسلها في هذه القضية، قد أفرزت عدة نتائج منها:

* أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعوة رسوله، مزق ملك كسرى على يد ابنه، كما مزق كسرى كتاب رسول الله؛ لتكون هذه عظة لمن يكفر بدعوة الإسلام، وينكر على محمد نبوته.

* ثم تلك المعجزة التي أجراها الله على يد رسوله، حين أخبره بنهاية حكم كسرى رغم أن رسول الله لم يبارح المدينة المنورة، وصدق الرسول فيما قاله رغم بعده عن مكان الأحداث -التي وقعت في المدائن- بآلاف الكيلو مترات.

* شاء الله أن يصل الإسلام إلى اليمن، فقد أسلم ملكهم باذان وتبعه قومه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٧)

بقي عبد الله بن حذافة بجوار رسول الله بالمدينة المنورة، يشاركه الأحداث، ولا شك أنه اشترك في فتح مكة، وحضر حصار حنين والطائف، ولعله كان أحد المسلمين الذين شاركوا في غزوة تبوك، وحج مع أبي بكر الصديق سنة ١٠هـ.

كان الرسول يقرِّب إليه عبد الله بن حذافة تقديرًا لمكانته، واعتزازًا به، وكان عبد الله يشارك في مجالس الرسول.

وفي حجة الوداع، صحب عبد الله رسول الله ﷺ في خطواته، فلما كان الرسول بمنى طلب من عبد الله أن يبلغ الناس ألا يصوموا أيام التشريق، لتكون هذه الدعوة مبدأ شرعيًا يسير عليه المسلمون حتى اليوم في حجهم.

وحين توفى رسول الله، كان عبد الله من أكثر الناس حزنًا عليه!!

تولى أبو بكر الصديق أمور المسلمين بعد رسول الله، فكان عبد الله بن حذافة مناصرًا لخليفة رسول الله، وحين استعد أبو بكر لمواجهة المرتدين عن الإسلام، كان عبد الله واحدًا ممن اشتركوا في قتال هؤلاء المارقين عن الإسلام، قاتل بسيفه بشجاعة، حتى كان النصر لرجال أبي بكر، وتم القضاء على المرتدين، وقتل زعمائهم، أو فرارهم.

(٨)

في سنة ١٨هـ اشتد القتال بين الروم والمسلمين في عهد عمر بن

الخطاب، كان عبد الله بن حذافة واحدًا ممن اشتركوا في مواجهة الأعداء، بعثه المسلمون في سرية، ليتحسسوا أخبار جيش الروم.. أعدادهم وأسلحتهم وقادتهم وخططهم.

شاءت الأقدار أن يقع عبد الله أسيرًا في أيدي الروم ومعه أصحابه، فحبسوه في سجن وتركوه عدة أيام بلا طعام ولا شراب، حتى إذا أجهده الجوع والظمأ.. قدموا له لحم خنزير وخمر.

لكن إيمان عبد الله واتباعه تعاليم دينه، ورغم شدة جوعه وظمئه، رفض أن يأكل من لحم الخنزير أو يشرب من الخمر.

وجاء إمبراطور الروم، يعرض عليه عرضًا سخيًا.

عرض ملك الروم على عبد الله بن حذافة أن يترك الإسلام، ويتنصَّر، يعتنق المسيحية، مقابل ذلك يفك إساره، ويطلقون سراحه، ويزوجه إحدى الجميلات، وأن يشارك الرومان في الحكم، فيصبح كأنه واحد منهم، لكن عبد الله لقوة إيمانه.. رفض هذه المقايضة مفضلاً السجن والجوع على الكفر بعد أن أنار قلبه بالإسلام.

حاول الرومان أن يثنوا عبد الله عن عزمه، فهددوه بالصلب، وجاءوا بأحد الأسرى من المسلمين، وصلبوه حتى يدخلوا في قلبه الرعب والفزع ، ولكنه استمر على موقفه لا يتزعزع عنه.

نصب الرومان خشبة الصلب، ليصلبوا عليه عبد الله، وأوثقوه بالحبال، وأمر القيصر رجاله بأن يربطوه على الصليب، ويطلقوا السهام والنبال عليه حتى تزهق روحه، ولكنه لم يبال بما قاله ملكهم.

إن إيمان عبد الله كان أقوى من كل هذه المحاولات، واستمر على دينه وموقفه واثقًا من حكم الله ومشيئته.

***

عرض الرومان على عبد الله أن يقبل رأس سيدهم، وأن يطلقوا سراحه، إنه ثمن فادح، وافقهم عبد الله أن يقبل رأس الإمبراطور على أن يطلقوا سراح كل زملائه الأسرى.

وعاد عبد الله بصحبة رجاله إلى المدينة المنورة، فلقيه عمر بن الخطاب مرحبًا به، شاكرًا له قيمة قبلته التي طبعها- على كره منه- على رأس قيصر روما.

وما يملك عمر بن الخطاب إلا أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، اعترافًا بصبره وقوة وثبات إيمانه.

(٩)

استمر عبد الله على عهده للإسلام، محاربًا، ومجاهدًا في سبيل الله، اشترك في عدة حروب، وحقق النصر لدينه.

حتى إذا كانت سنة ٢٠هـ، كان عبد الله واحدًا من جيش المسلمين الذين فتحوا مصر، سعيدًا بفضل الله عليه.

وبقي عبد الله بمصر، حتى وافاه الأجل.. مات ودفن بمقابر مصر.

رحم الله عبد الله بن حذافة بقدر جهاده وكفاحه في سبيل الله والإسلام، وما عاناه في الطريق إلى المدائن، وما قاساه من جحود وغلظة كسرى ملك الفرس، حين دعاه الرسول إلى الإسلام.

حَاطِبُ بْنُ أَبِى بَلْتَعَةَ

سفير رسول الله

إِلَى المقوقس بالإسكندرية بمصر

(١)

نشر الإسلام نوره على مكة المكرمة، فأشرق الكون بهاء، وأضاء الإسلام قلوب بعض أهل مكة، حتى هؤلاء الغرباء عنها الذين نزلوا بها، وتحالفوا مع بعض سادتها.

وتوافدت بعض الوفود من الناس إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، يلتقون بالرسول، ويعلنون إسلامهم ومبايعتهم له.

ووفد فيمن وفد، قبيلة بني خالفة الذين ترجع أصولهم إلى بني لخم[1]، أقبلوا إلى رسول الله، ليعلنوا إسلامهم، فسألهم الرسول:

- من أنتم؟

قالوا:

- بنو خالفة.

في سعادة.. قال لهم الرسول:

- بل أنتم بنو راشدة.

ذلك لأن الإسلام كان لهم رشادًا..

لا شك أن الرجال سعدوا بما أسماهم به رسول الله ﷺ.

وتقدم رجال بني راشدة إلى الرسول، وراحوا يشدون على يديه في ثقة

(١) ترجع أصول اللخميين إلى أدد الذي ينتهي إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، الذي هو أبو القبائل العربية باليمن. (طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٦، والمنجد ص١٠٧).

وأمان، ويعلنون له:

- نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك يا محمد رسول الله.

كان من هؤلاء القوم.. واحد منهم، كان معروفًا بمهارته في تسديد الرمية إلى الهدف، كما اشتهر بقوافل تجارته الكثيرة.

كان حاطب بن أبي بلتعة[١] من الرجال الذين لم يجدوا حسبًا ونسبًا في قريش، فكان إسلامه صدمة لسادته، كيف ينبذ عبادة آلهة سادته، ويعبد إله محمد، ويؤمن به رسولاً.

كان حاطب بن أبي بلتعة من الذين صب عليهم رجال قريش جام غضبهم، وقاموا بتعذيبهم، ليعودوا إلى دينهم، لكنه كان ثابت العقيدة، رابط الجأش، لم يرهبه تعذيبهم، ولم ينل من جسده السوء.

تحمَّل حاطب كل ما يلقاه صابرًا شجاعًا، يضغط على نفسه، وشارك العبيد أحزانهم بالصبر وثبات الإيمان.

هاجر حاطب بن أبي بلتعة إلى المدينة المنورة، لعله سبق الرسول إلى يثرب.

فضل حاطب الغربة على التعذيب، وأحس بالأمان والسلام في يثرب، حتى وإن باعدت الهجرة بينه وبين أهله وأولاده وماله وأصدقائه.

وحينما آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار، آخى بين حاطب بن

---

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمر (عمير) بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي، كان يكنى أبا محمد، وكان حليفًا لبني أسد بن عبد العزى، وفي بعض الروايات، أنه كان مولى لعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث. (الإصابة ج١ ص٣٩٢).

أبي بلتعة ورخيلة بن خالد[١].

(٢)

أصبح حاطب بن أبي بلتعة واحدًا ممن يقفون بجوار رسول الله، يؤازرونه في نشر دعوة التوحيد، ويواجهون أعداء الإسلام بكل جسارة.

كانت معركة بدر الكبرى أولى المعارك التي أبلى فيها حاطب شجاعته، وقدرته على تسديد الرماح والسهام إلى صدر الأعداء من قريش، حتى كان النصر للمسلمين.

ثم كانت معركة أحد.. كان حاطب أحد الذين وقفوا مع رسول الله، بعد أن تخلى الحراس عن مواقعهم، بايعه هو وكثير من الصحابة على الموت في سبيل الله.

ثم كانت معركة الخندق (الأحزاب)، كان حاطب واحدًا ممن شاركوا فيها، ليكون النصر حليفًا للمسلمين، والهزيمة لقريش ومن ناصروهم من اليهود والمنافقين.

وتمضي الأحداث في المدينة، يشارك فيها حاطب بن أبي بلتعة المسلمين نشوة النصر، وفرحة اتساع رقعة الإسلام، وكان أحد الذين خرجوا إلى مكة للعمرة سنة ٦هـ، وحضر بيعة الرضوان واتفاق صلح الحديبية.

(١) هو رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن عامر. حضر بدرًا وأحدًا، وتوفي وليس له عقب. (الإصابة ج١ ص٦٨٠، وطبقات ابن سعد ج٣ ص٥٥٥).

(٣)

هدأت الأمور بين قريش والمسلمين بعد الحديبية، فكان على الرسول أن ينشر دعوته عن طريق سفراء له إلى الدول المجاورة، يدعو فيها رؤساءها إلى الإسلام، أليس الإسلام دعوة عالمية؟

كان الرسول يدرك مكانة مصر في قلب المنطقة العربية، ويعلم أنها تخضع لسيادة الرومان، وأن إسلام أهلها الأقباط مكسب للإسلام والمسلمين؛ لذلك قال لأصحابه:

- من يكون لي سفيرًا إلى مقوقس مصر؟

كان حاطب بن أبي بلتعة على خبرة ودراية بمسالك الطريق ودروبه بين المدينة ومصر، فقد سار فيه مع قوافل التجارة أكثر من مرة، وكان على دراية بأحوال المصريين، وما يقترفه الرومان في حقهم من استغلال وسخرة واستعباد، وسيطرة على اقتصادياتها، ونهب محاصيلها، حتى إن الرومان كانوا يعتبرون مصر مخزنًا للغلال للرومانيين.

لذلك.. تطوع حاطب أن يقوم بهذه المهمة الجليلة، أن يكون سفيرًا للرسول إلى المقوقس حاكم الإسكندرية.

كتب أحد كُتَّاب الرسول رسالة وجهها إلى مقوقس مصر، جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله

إلى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد..

فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم.. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

(٤)

حمل حاطب بن أبي بلتعة كتاب رسول الله، وركب راحلته، واتخذ طريقه نحو مصر.

لاشك أن ذكريات كثيرة عن هاجر المصرية، زوج خليل الله إبراهيم عليه السلام عادت إلى ذهن حاطب وهو يسير في الطريق، حتى وصل إلى مدينة أون[2] حيث كان يوجد حصن بابليون، ومنها اتجه إلى الإسكندرية.

كان مقوقس مصر في ذلك الوقت اسمه جريج بن مينا، أصله مصري، جعله الرومان حاكمًا على المصريين، يأتمر بأمرهم، كان مسيحيًا، يعيش في مدينة الإسكندرية، تلك المدينة العريقة المطلة على البحر الكبير (المتوسط) والتي بناها الإسكندر الأكبر.

---

(١) انظر نص هذا الكتاب لابن قيم الجوزية ج٣ ص٦٠٤، والوثائق السياسية للعهد النبوي ص ٢٢٨ والآية من سورة آل عمران رقم ٦٤.

(٢) أون: كانت تعرف باسم مدينة الشمس، أو هليوبوليس، هي جزء من مدينة القاهرة حاليًا.

استطاع حاطب بن أبي بلتعة أن يدخل قصر المقوقس، وتيسرت له ظروف لقائه به.

في أدب وإجلال، قدم حاطب كتاب رسول الله إلى المقوقس، فتلقاه المقوقس باحترام ومودة.

(٥)

قرأ المقوقس كتاب رسول الله، وتمعن في كلماته بعناية.. إنه يدعوه إلى الإسلام.

دين جديد، أي أن عليه أن ينبذ مسيحيته، ويتبع دينًا آخر، لا يعرفه، فماذا يكون موقفه من سيده إمبراطور الروم.. هرقل؟ وكيف يواجه قساوسته ورجال دينه بدين جديد، وهم على مسيحيتهم حافظون ثابتون؟!

أسئلة كثيرة كانت تتزاحم في رأس المقوقس.

ليس لدينا ما يؤكد أن المقوقس كان يعلم بأخبار موقف هرقل من رسالة الرسول التي ألقاها إلى هرقل في إيليا، فالمسافة بين إيليا والإسكندرية بعيدة.. ولعل الرسالتين كانتا في وقت واحد مع سفيرين مختلفين.

التفت المقوقس إلى حاطب، وقال له:

- إن لنا ديننا هو المسيحية، نؤمن بنبيه عيسى ابن مريم رسولا، وبإنجيله كتابًا أنزله الله عليه، ولن نفارقه إلا لما هو خير منه، فما أمر دينك ورسولك؟

قال حاطب:

- إننا ندعوك إلى دين الله.. الإسلام، هذا الدين الذي يكفى صاحبه، ولا يضره، فمن كان مسلمًا يؤمن بمحمد رسولاً، فقد كسب الخير كله.

سكت المقوقس.. استغرق في التفكير فيما قاله حاطب.

عاد حاطب يقول:

- يا سيدي المقوقس.. من قبل.. كان رجل[1] في مصر يزعم أنه الإله الأعظم، رب الناس، كفر بإله موسى رغم المعجزات التي أظهرها على يديه، أصر الرجل على كفره وادعائه الألوهية، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، انتقم الله منه.. أغرقه هو ومن اتبعه من رجاله، فاعتبر بغيرك، ولا تجعل غيرك يعتبر بك.

وإذا كان الله قد بشر في التوراة بعيسى ابن مريم، فقد بشر في الإنجيل بمحمد رسولاً من عند الله، ومن الحكمة أن تتبعه.

قال المقوقس:

- فما موقف قريش من الرسول؟

قال حاطب:

- كان أشدهم عليه قومه من قريش، وكان أعدى أعدائه اليهود، وكان أقربهم منه النصارى، فعليك أن تؤمن بمحمد رسولاً، وبالقرآن كتابًا أنزله الله عليه، فكل نبي أدرك قومًا، فهم من أمته، وعليهم الإيمان به

(١) يقصد فرعون مصر أمام دعوة موسى عليه السلام.

وطاعته، وأنت وقومك القبط في مصر قد أدركت محمدًا، فعليكم اتباعه.

في دهشة، قال المقوقس:

- فكيف نكفر بعيسى وإنجيله، ونؤمن بمحمد وقرآنه؟

قال حاطب:

- إن إيمانكم بمحمد لا يعني كفركم بعيسى، لأننا نحن المسلمين نؤمن بعيسى رسولاً من عند الله، ونؤمن بإنجيله الذي أنزله الله عليه كتابًا من عند الله.

هدأت نفس المقوقس قليلاً، فقد أزالت كلمات حاطب بعض الغموض، لكنه لا يدري ماذا يفعل، أينكر محمدًا؟! أم يؤمن به؟، فقال لحاطب:

- أليس نبيكم مستجاب الدعوة؟

قال حاطب:

- بلى.

قال المقوقس:

- فلماذا لم يدع على قومه من قريش الذين كذبوه أن يهلكهم الله كما دعا موسى على فرعون وقومه، فأغرقهم الله؟

في ثقة واعتزاز، قال حاطب للمقوقس:

- ألم يكن عيسى مستجاب الدعوة إلى الله؟

قال المقوقس:

- بلى، لأنه رسول الله.

ابتسم حاطب، وقال للمقوقس:

- حينما قبض رجال بيلاطس[1] على المسيح، وطالب اليهود بصلبه، لماذا لم يدع عليهم المسيح أن يهلكهم الله ويدحرهم؟

هناك أحس المقوقس بذكاء حاطب، فقال له:

- حكيم.. جئت من عند حكيم.

اتجه المقوقس إلى رجاله، فرأى في عيونهم الخوف، فقال لحاطب:

- فأنظرني غدًا، حتى أشاور رجالي.

فلما كان الغد، اجتمع المقوقس برجاله وقساوسته وبطاركته، وناقشهم فيما جاء في كتاب الرسول ﷺ، وما قاله حاطب، وقال لهم: إني نظرت في هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت عنده النبوة والرسالة.

لا شك أن كثيرًا من رجال المقوقس كانوا يعلمون ببشرى الإنجيل بمحمد رسولاً [2] ولكنهم خافوا على مكانتهم ومناصبهم، فلم يقولوا الحقيقة التي يعلمونها، لم يقولوا إن محمدًا رسول حقًا من عند الله.

---

(١) بيلاطس: كان حاكم اليهود (٢٦- ٣٦م) أسلم المسيح للموت، وغسل يديه قائلاً: (أنا بريء من دمه ومن دم هذا الصديق). (المنجد ص٩٨).

(٢) مما يدل على بشارة الإنجيل بمحمد ما جاء في إنجيل يوحنا (إن لي أمورًا كثيرة ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما نبي جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتعلم عن نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بكل ما يأتي). (يوحنا الإصحاح١٦)

وفي إنجيل برنابا (أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بعدي) (برنابا الفصل ٧٢).

(٦)

دارت مناقشات حادة وحامية بين المقوقس ورجاله الأساقفة والبطاركة، وكل أدلى بدلوه.

كان واضحًا من خلال هذه المناقشات أن المقوقس قد اقتنع بالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، لكن الأساقفة والبطاركة منعوه من أن يعلن عقيدته، خوفًا على ضياع هيبتهم ومكانتهم بين المسيحيين في مصر وخارجها.

صورة لما وقع في إيليا بين هرقل ورجاله والتي حضرها دحية الكلبي.

فلما انتهى الاجتماع، وضع المقوقس كتاب رسول الله في حُقٍّ من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له، سعيدًا بالاحتفاظ به، ثم أمر أحد رجاله، فكتب كتابًا إلى رسول الله، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله

من المقوقس عظيم القبط

سلام عليك. أما بعد..

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين[1] لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة

(١) هاتان الفتاتان كانتا ابنتي الشيخ شمعون أحد رجال قرية حفن بالمنيا، كانت إحداهما اسمها مارية، اختارها الرسول جارية له، وكان يطؤها بحكم اليمين، أنجبت له ابنه إبراهيم، تزوجها الرسول، ومنحها الحرية. توفيت سنة ١٤هـ.

لتركبها[1]، والسلام عليك.

واضح من خلال الأحداث وكتاب المقوقس إلى رسول الله أنه مقتنع بالإسلام، ولكنه لم يسلم، خشي ثورة القساوسة والرهبان عليه، وتحسب لما سيناله من الرومان إن أسلم أو دعا إلى الإسلام.

(٧)

بهذا انتهت مهمة حاطب بن أبي بلتعة، فلما تهيأ للعودة من مصر إلى المدينة المنورة، كان رجال المقوقس قد هيأوا الهدايا إلى الرسول، كانت من هذه الهدايا:

فتاتان جميلتان- شيخ خصي اسمه مأبور- بغلة بيضاء- حمار أسود- أثواب من القباطي المصرية المعروفة – قدح من زجاج.

ودَّع المقوقس حاطب بن أبي بلتعة، ونصحه ألا يكلم أحدًا من الأقباط بأنه رسول من عند نبي الإسلام، لأنهم لم يوافقوا على اتباع هذا النبي، وقال له:

- ارجع إلى نبيك رسول الله، وأخبره أني مصدق أنه هو النبي الخاتم، رسول من عند الله لكني إن أعلنت إسلامي واتبعته، فقدت ملكي، لأن الأقباط سيعزلونني، وأنا حريص على ملكي، ولا أريد أن أتنازل عنه، وإن صاحبك سينتصر، والإسلام سينتشر، وسيفتح البلاد من بعدي، وسينزلون ساحتنا، ويأتون إلى بلادنا.

وأما الثانية: فكان اسمها شيرين، منحها الرسول للشاعر حسان بن ثابت، فتزوجها.

(١) بقيت هذه البغلة حتى عهد معاوية بن أبي سفيان.

وأمر المقوقس أن يصحبه بعض الحراس، ليدلوه على الطريق خارج المدينة.

اصطحب حاطب معه هدايا الرسول.. واتجه إلى المدينة المنورة.

في الطريق، تحدث حاطب إلى الفتاتين كثيرًا عن رسول الله، فأعلنتا إسلامهما.

لا شك أن ذكريات كثيرة عن هاجر المصرية قد عادت إلى ذهن الفتاتين وهما تسيران في الطريق.. ترى هل سيتحقق لهما ما تحقق لهاجر؟

وصل حاطب بن أبي بلتعة إلى المدينة المنورة ومعه هدايا المقوقس.. عائدًا من رحلته، ودخل إلى رسول الله ﷺ.

أخبر حاطب رسول الله بما حدث وما وقع له مع المقوقس ورجاله، وبما ذكره له المقوقس من نصائح وهو يودعه، وأعطى الرسول كتاب المقوقس إليه، فقال الرسول لمن حوله:

- لقد اختار المقوقس الملك على الإسلام، كما فعل هرقل قيصر الروم، مع علمه ويقينه أن محمدًا هو رسول الله، وهو خاسر في إيثاره الملك على الإسلام، لأن ملكه سيزول، كما زال ملك غيره، بذلك خسر الدنيا والآخرة.

(٨)

بقى حاطب بن أبي بلتعة في المدينة المنورة، يشارك الرسول صحبته ومواقفه؛ ليستعيد ذكريات سعادته في زيارته إلى مصر التي لا تفارق ذهنه.

وعلم حاطب أن الرسول والمسلمين يستعدون لفتح مكة، ولأنه كان

يخشى على قومه وأولاده وحلفائه، لذلك بعث بكتاب مع إحدى النساء الفقيرات التي كانت في زيارة للمدينة.

في هذه الرسالة، أخبر حاطب أهله وحلفاءه بأن الرسول يستعد لمهاجمتهم بجيش كبير.

أخبر جبريل رسول الله ﷺ بما فعله حاطب، فبعث الرسول ببعض صحابته، فلحقوا بالمرأة وهي في طريقها إلى مكة، وأخذوا منها كتاب حاطب.

استاء الرسول مما فعله حاطب، وكاد عمر بن الخطاب أن يضربه بالسيف[1]، لكن الرسول عفا عنه، لأنه كان أحد الذين شهدوا بدرًا.

لا شك أن حاطب بن أبي بلتعة، حضر فتح مكة، وما تلاها من حنين والطائف، سعيدًا بانتصار الرسول.

(٩)

بعد أن توفى رسول الله، خلفه أبو بكر الصديق.

بعث أبو بكر حاطبًا مرة ثانية إلى مقوقس مصر، ليجدد دعوته إلى الإسلام.

---

(١) في هذا الموقف أنزل الله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

لكن المقوقس ورجاله كانوا ما يزالون على وفائهم لمسيحيتهم، حتى شاء الله أن يفتح المسلمون مصر سنة ٢٠هـ، وأن ينتصروا على الرومان، وينتهي بذلك ملك المقوقس.

لا شك أن حاطبًا سعد بفتح المسلمين لمصر، وعادت إلى ذهنه صور الأحداث التي عاشها هناك.. وتذكر قول المقوقس له:

- وإن صاحبك سينتصر، والإسلام سينتشر، وسيفتح أصحابه من بعده البلاد، ويأتون إلى ديارنا.

لقد كان المقوقس يدرك هذه الحقائق، ولكنه آثر أن يحتفظ بملكه الذي ضاع منه حينما استولى المسلمون على حصن بابليون، وسقطت الإسكندرية في أيديهم.

وعاش حاطب بن أبي بلتعة حتى توفى سنة ٣٠هـ في عهد عثمان بن عفان.

رحم الله حاطب بن أبي بلتعة بقدر جهاده في سبيل الإسلام أيام بدر وأحد والخندق، وجزاه خيرًا على موقفه في سفارته إلى مصر، وعفا الله عن خطئه حين أراد أن يخبر قومه وحلفاءه بمقدم الرسول إليهم، وكفاه فخرًا أن شهد بدرًا، وكان من أوائل السابقين إلى الإسلام.

عَمْرُو بِنْ أُمَيَّةَ الضَّمْرِى

سفير رسول الله

إلى نجاشى الحبشة

(١)

اشتد أوار المعركة يوم أحد[1] وتساقط كثير من رجال قريش جرحى وصرعى أمام شجاعة المسلمين وبسالتهم، وقوة إيمانهم، حتى بعد أن تفرقوا، حين غادر الحراس مواقعهم.. عادوا يلبون نداء الرسول للقتال، واستبسلوا بعزيمة وجرأة، يريدون أن يحققوا النصر للإسلام.

كان أحد الرجال المشركين من قريش واحدًا ممن اشتركوا في المعركة، أبهره ثبات المسلمين، وهو يلاحظ عليهم أنهم لم تهن عزيمتهم، قاوموا الأعداء ببطولة وصدق، فأحس هذا القرشي الكافر أن الإسلام استطاع أن يوحد صفوف من آمنوا به، وكان لهم حافزًا على تحمل مشقة الكفاح.

كان هذا الرجل المشرك هو عمرو بن أمية الضمري[2].

حتى إذا انتهت المعركة بخيرها وشرها.. كان عمرو قد اقتنع بالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، فذهب إلى رسول الله، وأعلن إسلامه، سعيدًا بفضل الله عليه، ليبدأ في الحياة صفحة جديدة، ينعم فيها بنور الإسلام الذي وهبه الله له، وأنار به قلبه وبصيرته.

لقد قرر عمرو أن يعوض ما فاته من جهاد، فبقي في المدينة بجوار

---

(١) معركة أحد: كانت في شوال سنة ٣هـ.

(٢) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس.. ينتهي نسبه إلى ضمرة بن بكر من بني كنانة، كان يكنى أبا أمية، شهد بدرًا وأحدًا مع كفار قريش ثم أسلم بعدهما، عرف بجرأته وسرعة نجدته، كان سفيرًا للرسول إلى نجاشي الحبشة (طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٣٣، الاستيعاب ج٢ ص٢٤٨).

رسول الله، يزداد إيمانًا، واستمساكًا بالإسلام، ينعم بمجالس رسول الله، وهو يفقِّه المسلمين في شئون دينهم ودنياهم، يتمنى عمرو أن يكون له دور في تاريخ الإسلام.

منذ أسلم عمرو وهو في لهفة إلى الجهاد، يمني نفسه أن يكون واحدًا من رجال جيش المسلمين يذود عنهم أعداءهم، ويحمي ظهورهم، وينتصر للإسلام الذي هداه الله إليه، وأنقذه من جهالة الكفر، وعبادة الأصنام.

(٢)

وحانت الفرصة لعمرو، أشركه الرسول ﷺ في سرية بئر معونة في صفر سنة ٤ هـ حين جاء أبو البراء بن عامر المعروف باسم ملاعب الأسنة، وطلب من الرسول أن يبعث معه بعض المسلمين، ليعرضوا الإسلام على قومه، لعلهم يسلمون.

اختار الرسول أربعين رجلاً من خيار المسلمين.. كان منهم عمرو بن أمية الضمري، للقيام بهذه المهمة، فساروا، حتى وصلوا إلى مكان يعرف باسم بئر معونة. فجأة خرج عليهم رجال كثيرون من بني عامر، وأحاطوا بهم، وقاتلوهم، وتقاتل الفريقان.. لكن الأعداء تكاثروا على المسلمين، فقتلوهم جميعًا، ولم يبق منهم إلا كعب بن زيد، وعفا عامر بن الطفيل عن عمرو بعد أن جز شعر رأسه!!

لقد شاء الله لعمرو أن يبقى على حياته، ليستمر في الكفاح في سبيل الله.

* * *

مرة ثانية.. بعث الرسول عمرو بن أمية، ومعه سلمة بن أسلم في سرية إلى مكة، وكان الكفار قد قتلوا خبيب بن عدي[1] وصلبوه على صليب من خشب، فأنزله عمرو من على خشبته، وقتل رجلين من المشركين، انتقامًا لخبيب، وعاد إلى المدينة، فسر به رسول الله ﷺ.

(٣)

في صيف سنة ٧هـ، كان الرسول يبعث بسفراء له إلى رؤساء وملوك الدول المجاورة، ومعهم كتب، يدعوهم فيها إلى الإسلام.

لذلك، كان عمرو الضمري أحد الذين اختارهم الرسول لهذه المهمة الجليلة، بعثه بكتاب إلى نجاشي الحبشة.. الأصحم بن أبحر.

لا شك أن عمرًا سعد بثقة الرسول فيه، وتمنى أن يحقق النجاح في هذه المهمة التي لها تأثير على انتشار الإسلام، واتساع ظلاله خارج المدينة المنورة.

من أحد الموانى القائمة على الساحل الشرقي لبحر القلزم (البحر الأحمر حاليًا) ركب عمرو الضمري إحدى السفن التي عبرت به مياه البحر إلى الشاطئ الغربي، حيث نزل في أحد الموانى، واتجه إلى الحبشة.

كان على عمرو أن يقوم بثلاث مهمات[2]:

---

(١) راجع قصة خبيب بن عدي، كواحد من سفراء الرسول إلى إحدى القبائل ص ٤٩.

(٢) في بعض الروايات أن عمرا الضمري لم يجمع بين كل هذه المهام الثلاث في سفر واحد، وإنما سافر إلى الحبشة مرتين، مرة ليخطب رملة للرسول، ثم سافر مرة ثانية لدعوة النجاشي إلى الإسلام، واصطحب المهاجرين للعودة إلى مكة أو المدينة.

وسواء كان أحد الرأيين صحيحًا، فقد كانت مهمة عمرو مهمة عظيمة كتبت له في التاريخ صفحات مضيئة.

الأولى: أن يخطب رملة بنت أبي سفيان لتكون زوجة للرسول.

الثانية: دعوة نجاشي الحبشة وشعبه إلى الإسلام.

الثالثة: أن يعود بالمسلمين المهاجرين إلى مكة أو المدينة المنورة، بعد أن استقرت أمور المسلمين في المدينة، خصوصًا بعد صلح الحديبية التي كان من أهم شروطها الهدنة بين المسلمين وقريش.

(٤)

فأما عن المهمة الأولى، فمعروف أن المهاجرين إلى الحبشة بعضهم اصطحبوا معهم زوجاتهم، كان منهم عبيد الله بن جحش[١] الذي اصطحب معه زوجته رملة[٢] (أم حبيبة) بنت أبي سفيان.

سعد عبيد الله بجوار زوجته حينًا، ثم عصف به الشيطان، وأضله عن الطريق السوي، فأدمن الخمر التي سرى سمها في جسده، وأصابه المرض، واعتلت صحته، ووهنت قواه، وضعفت ذاكرته، فكان كثيرًا ما يعود إلى زوجته حبيبته سكيرًا، تفوح من فمه رائحة الخمر، يترنح من فرط الشراب، لا يستطيع أن يتماسك، وكثيرًا ما دفعه هذا إلى الإساءة إليها، وإهانتها، ومع

(١) هو عبيد الله بن جحش بن رئاب بن خزيمة الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله.

(٢) رملة بنت أبي سفيان، أخت معاوية، أمها صفية بنت أبي العاص، فهي ابنة عمة عثمان بن عفان، أسلمت قديمًا، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، تزوجها رسول الله بعد وفاة زوجها، فكانت إحدى أمهات المؤمنين. توفيت سنة ٤٤هـ في خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان. (طبقات ابن سعد ج١٠ ص٩٤).

ذلك صبرت رملة الزوجة الطيبة الوفية عليه، وتحملت سوء مسلك زوجها ومتاعب الغربة!! لعله يعود إلى رشده.

لم يكتف عبيد الله بالإساءة إلى نفسه وإلى زوجته، بل اشتط به الشيطان، فأنساه إسلامه، وأغواه بالعودة إلى الكفر، فاعتنق الديانة المسيحية، فيا لها من جريمة ارتكبها في حق نفسه وزوجه والإسلام.

استمر عبيد الله على عهده للشيطان والخمر، حتى نخر الداء في جسده، ومات.

تحملت رملة بنت أبي سفيان الموقف بشجاعة وصبر، فهي لا تستطيع أن تعود إلى مكة، وأبوها يتربص بها السوء، لإسلامها، ولا تملك إلا أن تستعين بالله على فجيعتها؛ ليساعدها على أن تتصبر، تشاركها صغيرتها المحنة، ولوعة اليتم!!

وبقيت رملة تصارع الأحزان ومشاق الغربة.

وعلم رسول الله ﷺ بما فُجعت به رملة، فأراد أن يعوضها خيرًا عما أصابها.

ما كاد حراس النجاشي يخبرونه أن رسول محمد قادم من أرض الحجاز، ومعه كتاب.. حتى أمرهم أن يسمحوا له بالدخول.

دخل عمرو الضمري إلى نجاشي الحبشة، فنزل النجاشي عن سريره، ورحب به، وأخذ منه كتاب رسول الله ووضعه على عينيه.

* * *

(٥)

أعطى النجاشي كتاب الرسول إلى أحد رجاله ممن يجيدون العربية، فقرأه، وقد جاء في هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاية الله، فإني رسوله، فأسلم تسلم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

أخبر عمرو النجاشي بالمهمات التي جاء من أجلها، ومنها خطبة رملة بنت أبي سفيان للرسول.

---

(١) كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي. والآية ٦٤ من سورة آل عمران.

اختلف بعض الرواة: هل هو نجاشي واحد، أم نجاشيان، وهل النجاشي الذي رحب بالمهاجرين المسلمين، واستمع إلى ما قاله جعفر بن أبي طالب وما زعمه رسولا قريش، وأسلم بالرسول دون أن يطلب من قومه الإسلام، هل هو نفسه الذي التقى بعمرو بن أمية، وتسلم كتاب الرسول، وزوج رملة للرسول، وفي عهده عاد المهاجرون إلى ديارهم، وهو الذي صلى رسول الله عليه صلاة الجنازة، بعد أن علم بوفاته سنة ٩هـ. والرأي عندي أنه نجاشي واحد.

بعث النجاشي إلى رملة إحدى جواريه والتي كان اسمها أبرهة، فذهبت الجارية إلى حيث كانت تقيم رملة، وقالت لها:

- يا سيدتي: إن الرسول بعث إلى سيدي النجاشي يطلب منه أن يخطبك؛ لتكوني زوجة له، وعليك أن تختاري من يكون وكيلاً عنك في زواجك.

سعدت رملة أم حبيبة بالبشرى التي أخبرتها بها الجارية، سعادة فاضت على ما حولها.. لقد عوضها الله عن صبرها، فلم تتمالك رملة نفسها من فرحتها، وخلعت من يدها سوارين، وأعطتهما للجارية، وقالت لها:

- بشرك الله بالخير.

اختارت رملة أحد المسلمين المهاجرين وكيلاً عنها.. إنه خالد بن سعيد ابن العاص(١).

فلما كان المساء.. دعا النجاشي كثيرًا من المهاجرين، يتقدمهم جعفر بن أبي طالب، وقد غمره السرور والغبطة، وقال لهم:

- إن محمدًا رسول الله قد بعث إليَّ بكتاب مع رسوله أن أزوجه أم حبيبة، وأمهرها أربعمائة درهم.

أعلن خالد بن سعيد موافقته على هذا الزواج، فإنه يسعده أن يكون وكيلاً عن رملة التي ستكون إحدى أمهات المؤمنين.

في سعادة الجميع الذين شاركوا حضور الخطبة من المسلمين المهاجرين

---

(١) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، يمتد نسبه إلى قصي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، رغم كفر أبيه، هو أحد الذين اشتركوا في حروب الشام، واستشهد يوم فتح أجنادين. (الإصابة ج١ ص٥٣٦).

وأهل الحبشة، دفع النجاشي إلى خالد بن سعيد مهر رملة أربعمائة درهم.

في هذه الليلة، احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة، أقام النجاشي حفلاً، حضره كثير من الناس، وذبحت الذبائح، وأطعم الناس سرورًا بهذه الخطبة السعيدة.

بهذا انتهت المهمة الأولى لعمرو بن أمية الضمري.

(٦)

في سعادة.. جمع النجاشي رجاله وقساوسته وبطارقته، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ.

وحتى يستطيع عمرو الضمري أن ينجح في مهمته، قال للنجاشي:

- أيها الملك العظيم.. لقد شهدت بنبوة رسول الله، وأن عيسى بَشَّرَ في إنجيله بدعوة محمد رسولاً من عند الله، فعليك أن تتبع محمدًا، وأن تدعو قومك إلى الإيمان به.

قال النجاشي: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وطلب النجاشي من قومه أن يسلموا، فهو خير لهم.

ثم أمر النجاشي كاتبه، فكتب كتابًا إلى رسول الله جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله

من النجاشي أصحمة

سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته.. أما بعد،

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه.

فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»[١].

ثم جهز النجاشي سفينتين، حملت المسلمين المهاجرين، من الحبشة، عائدين إلى ديارهم في مكة أو المدينة المنورة.

وهكذا انتهت مهمة عمرو بن أمية الضمري على خير ما أحبه الله ورسوله.

(٧)

عاد عمرو الضمري إلى المدينة المنورة؛ ليشارك الرسول والمسلمين الجهاد والكفاح في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وعلو رايته.

حتى توفى رسول الله، فحزن عليه عمرو حزنًا شديدًا؟

واستمرت حياة عمرو بن أمية الضمري خلال عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى توفى في عهد معاوية بن أبي سفيان.

رحم الله عمرو بن أمية الضمري بقدر ما هداه الله إلى الحق، وجاهد في سبيل الله دفاعًا عن الإسلام، وشاء الله له أن ينجح في مهمته إلى نجاشي الحبشة في دعوة انتشار الإسلام في هذه المنطقة المأهولة في شرق أفريقيا.

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص٦٠٠. والرسول المبلغ ص١٩٢.

الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيّ

سفير الرسول إلى

المنذربن ساوى عامل البحرين

(١)

تتسع شبه الجزيرة العربية، لامتدادها المترامي نحو خليج عمان (الخليج العربي الآن) شرقًا، وبحر القلزم (البحر الأحمر الآن) غربًا، فهي بذلك تشمل مدنًا وممالك واسعة، وقبائل كثيرة.

وإذا كان الإسلام قد أفاض بنوره على أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبعض القبائل المحيطة بهما، ووصل سفراء الرسول إلى خارج شبه الجزيرة العربية إلى الشام وفارس ومصر، وبذروا بذور الإسلام فيها، فإن من حق باقي شبه الجزيرة العربية أن تصلهم دعوة الإسلام، وهي دعوة عالمية، يأمن فيها الناس كافة في حياتهم، ويثابون على خيرهم في آخرتهم.

في شرق شبه الجزيرة العربية، وعلى سواحلها الشرقية، تقوم دولة كبيرة ذات مساحة عظيمة واسعة تضم كثيرًا من الجزر، تعرف بدولة البحرين، تسكنها قبائل عربية من بني تيم[١]، يحكمهم ملك اسمه المنذر بن ساوى[٢]، هذه الدولة تخضع لسيطرة الفرس.

لذلك كان على الرسول أن يرسل رسولا ومعه كتاب إلى هذا الملك، يدعوه وقومه إلى الإسلام.

---

(١) بنو تيم: قبيلة عربية ينتسبون إلى تيم بن مر، أنجبت كثيرًا من أعظم شعراء الجاهلية.. كانوا يسكنون في شرق شبه الجزيرة العربية.

(٢) حينما كنا نتحدث عن سفارة عبد الله بن حذافة إلى كسرى، ذكرنا أنه مر على ملك البحرين، فهل كان ملك البحرين الذي مر عليه عبد الله بن حذافة هو المنذر بن ساوى أم آخر؟ أغفلت كتب السيرة هذا الموضوع.

أمر ا لرسول أحد كتابه بكتابة كتاب إلى المنذر، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله

إلى المنذر بن ساوى

أما بعد،

فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر[1].

* * *

كان الرسول يعلم عن العلاء بن الحضرمي[2] خبرته بهذه الدولة، والطريق إليها.

لذلك اختاره سفيرًا، يحمل رسالته إلى ملك البحرين.

كان ذلك سنة ٧هـ.

(٢)

وصل ابن الحضرمي إلى البحرين، وطلب من حراس الملك مقابلته.

في تجلة وإعزاز، قدَّم ابن الحضرمي كتاب الرسول إلى المنذر بن ساوي.

قرأ المنذر كتاب رسول الله عدة مرات، وراح يتمعن في كلماته، ومغزى

---

(١) المقصود بالخف: أي الذين يركبون الجمال، والحافر: الذين يركبون الخيول.

(٢) العلاء بن الحضرمي هو: عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف، كان أبوه حليفًا لبني أمية، وكان أخوه عمرو بن الحضرمي أول قتيل من كفار قريش في معركة بدر. (الإصابة ج٢ ص٦٦٤).

ما يحتويه من المعاني.

إنه من رسول يقوم على دين الإسلام، يدعوه إليه هو وقومه، لخير لهم جميعًا.

إن الكتاب فيه ترغيب له، فالدخول في الإسلام فيه سلامة له وتثبيته على ملكه، لا ينازعه فيه منازع، ولا يتسلط عليه آخر. أي أن فيه الحفاظ على ملكه لمملكة البحرين، لا يتعرض له عدو.

فإن رفض هذا الإسلام، فإنه سيفقد ملكه كما حدث لكسرى ملك الفرس، وسيهاجمه المسلمون، ويدخلون أرضه، وينتصرون عليه، ولن يستطيع مواجهتهم، وسيقضون على من يعترض طريقهم سواء كانوا يركبون الإبل، أو الخيل.

(٣)

كان واضحًا من كتاب الرسول إلى المنذر ثقة الرسول فيما يدعو إليه، وفيما يحذره منه، وللمنذر أن يختار ما يناله من خير إن أسلم، وما سيصيبه من سوء إن أعرض عن الإسلام، وظل على كفره.

كان بعض رجال الملك حاضرين مجلسه، سمعوا كلمات كتاب الرسول، وتحسسوا معناه، فهمس أحدهم في أذن الملك المنذر:

- مولاي.. نحن نعلم عن محمد ظهوره على قومه من قريش، وانتصاره عليهم في عدة معارك، انتصر عليهم في بدر والخندق، وإذا كان بعض المسلمين قد استشهدوا، فلهم الجنة ثوابًا. لكن كثيرًا من رجال قريش قد قتلوا في ساحات هذه المعارك.

وقال آخر:

- ونجح محمد في أن يطهر المدينة من اليهود، طردهم خارجها، حتى إن كثيرًا من اليهود نبذوا يهوديتهم، واتبعوا الإسلام، دين محمد، إن الإسلام دين عزة في الدنيا والآخرة.

وحين رفض كسرى ملك الفرس كتاب محمد ومزقه، عاقبه الله، تحطمت دولته، وسقط عرشه بيد أحد أبنائه.. إن في ذلك لعظة وذكرى لغيره.

تدبر المنذر بن ساوى كلمات رجاله، وأحاط علمًا بالحقيقة، وخشى على ملكه، فوجد أن من الخير أن يستجيب لدعوة محمد، وأحس ابن الحضرمي بما يدور في ذهن الملك المنذر، فقال له:

- يا سيدي الملك.. أعلم عنك رجاحة العقل، وإذا كان الفرس قد أصاب مَلكهم ما أصابه لسوء موقفه من كتاب محمد، فمن الخير لك أن تتبع الحق.

وقال كبير وزراء الملك له:

- إن محمدًا يدعو إلى عبادة الله الواحد، لا عبادة نار تشتعل حينًا، وتخمد حينًا آخر، كيف تكون هذه النار التي نشعلها بأيدينا، الإله الذي خلق هذا الكون وهو الذي يسيره.

عاد المنذر بن ساوى يقول لابن الحضرمي:

- فإن اتبعت محمدًا، وأسلمت بدينه، ضمن لي سلامة ملكي وأمنه؟

في ثقة واعتزاز، قال ابن الحضرمي:

- هذا في الدنيا، أما في الآخرة، فسيكون لك عند الله ثواب عظيم، هو

الجنة التي أعدها الله للمتقين من عباده، إن رسولنا صادق في دعواه، أمين على عهده، هكذا عرفه الجميع، حتى من كانوا له أعداء.

قال الملك المنذر، وقد أثلجت صدره هذه الكلمات، وفاض به البشر:

- أشكرك يا بن الحضرمي على حسن ما جئت من أجله، وبلغ رسولك أننا اتبعناه، وآمنا بدينه في انتظار تحقيق وعده وعهده.

وقال كبير رجال الملك:

- إن الإسلام حظ وخير لمن آمن به في دنياه وآخرته، سيبقى له ملكه في الدنيا. وسينعم بالجنة في الآخرة، فأي فضل للإنسان بعد ذلك.

عاد الملك يقول: فأشيعوا في القوم دين محمد.. دين الإسلام والأمن والسلامة، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول من عند الله، دينه حق، سيظهره على ما عداه.

هكذا.. نجح العلاء بن الحضرمي في مهمته، وأسلم المنذر بن ساوى.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٤)

كان إسلام المنذر عن عقيدة وإيمان صادق، لذلك أمر رجاله، فنادوا في البلاد؛ يدعون الناس إلى الإسلام دين الحق.

وسرعان ما استجاب كثير من أهل البحرين، وتوافدوا إلى قصر الملك، وأعلنوا إسلامهم، ونبذوا المجوسية دين الفرس.

كتب المنذر بن ساوى كتابًا إلى رسول الله يخبره فيه بإسلامه، جاء في

هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله

من المنذر بن ساوى

أما بعد

يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود[(١)].

فماذا ترى يا رسول الله؟ إني انتظر أمرك في ذلك.

عاد العلاء بن الحضرمي إلى المدينة المنورة، ومعه كتاب الملك المنذر بن ساوى، وأعطاه للرسول، سعيدًا بنجاحه في مهمته.

وعلم المسلمون في المدينة المنورة باستجابة ملك البحرين وإسلامه، فسعدوا جميعًا أن تمتد رقعة الإسلام إلى البحرين.

(٥)

كان على الرسول أن يرد على كتاب المنذر، والذي يسأل فيه عن موقفه من المجوس واليهود في مملكته.

لذلك بعث الرسول كتابًا ثانيًا إلى ملك البحرين، جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله

(١) زاد المعاد ج٣ ص٦٠٥، والرسول المبلغ ص٢١٧.

إلى المنذر بن ساوى

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح، فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي.

وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم.

وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك.

ومن أقام على يهودية أو مجوسية، فعليه الجزية[(١)].

* * *

هكذا.. حدد الرسول للمنذر بن ساوى موقفه ممن لم يسلم، واستمر على يهوديته أو مجوسيته، عليه أن يدفع الجزية للمسلمين مقابل الدفاع عنه، وحمايته في وطنه.

(٦)

عاد العلاء بن الحضرمي إلى المدينة المنورة بعد نجاحه في مهمته، وبذر بذور الإسلام في البحرين، عاد ليشارك الرسول والمسلمين الكفاح والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الإسلام.

---

(١) زاد المعاد ج٣ ص٦٠٥. والرسول المبلغ ص ٢١٨ .

ولأن الرسول كان يدرك مكانة العلاء بن الحضرمي عند أهل البحرين وملكهم، لذلك ولاه على صدقات أهل البحرين، يجمعها من الأغنياء من الإبل والأغنام والتجار، ويوزعها على الفقراء والمساكين، فنجح في مهمته.

وحينما توفى رسول الله ﷺ، ارتد كثير من أهل البحرين عن الإسلام، فقد أدهشهم أن يموت محمد، وهو نبي، ونسوا أن الأنبياء كلهم ماتوا.. مات نوح وصالح وموسى وعيسى.. وغيرهم.

لذلك بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي مرة أخرى إلى مملكة البحرين في جيش كبير، وكان الملك المنذر بن ساوى قد مات هو الآخر.

حاول العلاء بن الحضرمي إقناع أهل البحرين بالعودة إلى الإسلام، ولكنهم واجهوه بجيش كبير، فقاتل العلاء المرتدين الذين أحسوا بفشلهم في مواجهة جيش المسلمين، فاضطروا إلى الهروب في سفن إلى مياه الخليج، فتتبعهم العلاء، سار على سطح المياه بدعوة كان يدعو بها ربه، ومشى ورجاله على البحر، إنها كرامة من الله أظهرها على يد الحضرمي.

ولحق المسلمون يقودهم العلاء بجيش المرتدين، وأمعنوا فيهم قتلاً حتى اضطر كثير منهم إلى العودة إلى الإسلام.

إنها صورة مشرقة لحياة هذا البطل المجاهد، حتى شاء الله أن تنتهي به الحياة سنة ١٤هـ.

رحم الله العلاء بن الحضرمي، بقدر ما بذله من جهد في سبيل دعوة الإسلام. وأثابه خيرًا أن بذر بذور دعوة الإسلام في البحرين، وكفاه فخرًا أن وفقه الله في كل المهمات التي كلف بها، وكان مستجاب الدعوة.

عَمْرُو بِنُ العَاص

سفير الرسول

إلى ابْنَىْ الْجُلَنْدَى مَلِكَىْ عُمَانَ

(١)

عرف بحصافة فكره ورجاحة عقله، ولباقته في الحوار، وقدرته على المناقشة والمراوغة واتساع أفقه، ودرايته بشئون الحياة، ومواجهة المواقف الصعبة.

إنه واحد من زعماء قريش، استمر على كفره طويلاً، ثم هداه الله إلى الإسلام؛ ليكون له في التاريخ صفحات مشرقة تنطق بعظمته.

إنه عمرو بن العاص[(١)].

كان لعمرو بن العاص سابق زيارة إلى الحبشة، كان ذلك حين علم رجال قريش بهجرة كثير من المسلمين فرارًا بدينهم إلى أرض الحبشة، فآواهم وحماهم النجاشي ملك الحبشة بجواره. بعث رجال قريش إلى النجاشي رسولين هما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن ربيعة، ليقنعا النجاشي يطرد المسلمين المهاجرين من دياره.

ولأن عمرو بن العاص لم يكن على حق فيما ذهب إليه، فقد فشل في إقناع النجاشي، وعاد عمرو إلى قومه في مكة، لا يستطيع مواجهتهم لفشله في مهمته[(٢)].

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد. قرشي من بني سهم. أسلم سنة ٧هـ، واشترك في فتح مكة، كان قائد جيش المسلمين في فتح مصر سنة ٢٠هـ. وكان واليًا عليها. اشترك في النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وكان بجوار معاوية. توفى سنة ٤٣هـ. (الإصابة ج٣ ص٣).

(٢) راجع الحوار الذي دار بين عمرو بن العاص، والنجاشي وجعفر بن أبي طالب في سفارة جعفر إلى نجاشي الحبشة قبل الهجرة. إحدى قصص هذا الكتاب ص ٢٠.

كانت هذه هي بداية علاقة صداقة بين عمرو بن العاص ونجاشي الحبشة.

وحينما انفرد عمرو بنفسه، أدرك عدم قدرته على معايشة الجو والظروف التي يعيشها رجال قريش في موقفهم من محمد ومن آمنوا بدعوته، فعاد إلى النجاشي، لاجئًا إليه[١]، ولذلك لم يحضر عمرو صلح الحديبية بين المسلمين وقريش سنة ٦هـ.

(٢)

حينما كان عمرو بن العاص عند النجاشي لاجئًا، قدم سفير رسول الله عبد الله ابن عمرو الضمري بكتاب يدعو النجاشي إلى الإسلام.

بعد اللقاء الناجح الذي تم بين عمرو الضمري والنجاشي، شاء الله أن يلتقي عمرو بن العاص مع النجاشي الذي أعلن إسلامه، فقال النجاشي لعمرو حين دخل عليه:

- مرحبًا بصديقي.

في ذلك اليوم، كان عمرو بن أمية الضمري خارجًا من عند النجاشي،

---

(١) كان سبب لجوء عمرو بن العاص إلى النجاشي أنه بعد معركة الخندق، أحس بقوة محمد ومن اتبعوه، فجمع بعض أصحابه، وقال لهم:

- والله إني لأرى محمدًا يعلو، وإني رأيت رأيًا أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا، كنا عند النجاشي، فلأن نكون تحت يديه، أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن يظهر قومنا على محمد، فلا يكون لنا منهم إلا الخير. فوافق أصحاب عمرو على رأيه، وجمعوا كثيرًا من الجلود، أهدوها إلى النجاشي، ولجأوا إليه.

فقال عمرو بن العاص للنجاشي فيما يشبه الدهشة والعتاب، يعبر عما في نفسه:

- أيها الملك العظيم.. لقد رأيت رجلاً خارجًا من عندكم.. إنه واحد من رجال محمد، عدونا الذي نقاتله في معارك ضارية، والذي قتل في مواقع عديدة كثيرًا من أشراف رجالنا، وسفَّه ديننا، ودعا إلى دين آخر.. كم أتمنى أن أنفرد به، لأقتله انتقامًا مما فعله قومه بنا، لعلي آخذ بثأر قومي من هؤلاء المسلمين الذين اشتدت قوتهم، واتسع دينهم في يثرب.

لم يعجب النجاشي لما قاله عمرو بن العاص، فقال له:

- يا عمرو.. أنت تعرف الحقيقة. إن محمدًا على حق، إنه نبي، رسول من عند الله، ومع ذلك تجادل وتحاول أن تخالفه، تنكر عليه نبوته، إني أعلم عنك حكمتك ورجاحة عقلك، والخير لك أن تتبع دين محمد.

أحس عمرو بن العاص في ذلك اليوم كأن كلمات النجاشي توجعه، توخزه في صدره، حتى لتكاد تدمى قلبه.

عاد النجاشي يقول لعمرو

- أما أنا، فقد اتبعته، شهدت أنه رسول الله، بايعته على الإسلام.

شاء الله أن يهدي عمرو بن العاص، ويملأ صدره بالإيمان، فتح الله قلبه، أنار بصيرته، هداه إلى الحق والحقيقة، إنه يدرك أن محمدًا رسول الله، ولكنه يخشى على نفسه من قومه أن يقولوا: صبأ عمرو بن العاص، كما صبأ عمر بن الخطاب، فدعا الله أن يوفقه إلى ما فيه خير له، وقرر أن يعود إلى مكة.

في سعادة بالغة واعتزاز، قال عمرو بن العاص للنجاشي:

- فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ما كاد عمرو ينطق بالشهادتين، حتى أحس كأن غشاوة كثيفة انزاحت عن عينيه، كانت تحجب عنه الرؤية.. كأن حملاً ثقيلاً سقط عن جسده، كان ينوء به كاهله، وأحس كأن نورًا يضيء ما حوله، يملأ جوارحه، ويشرق في نفسه التي عانى منها، فصفت نفسه صفاء أنار له طريق الحياة، فعرف الخير من الشر.. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٣)

حينما عاد عمرو بن العاص إلى مكة.. كان يبحث عن طريقة.. كيف يلتقي بمحمد، ليعلن له إسلامه، ويقف معه، يشاركه كفاحه، غير عابئ بما سيناله من قريش.

في ذلك الوقت.. شاء الله لعثمان بن طلحة(١) وخالد بن الوليد(٢) أن يعودا إلى الحق والصواب، وأن يقتنعا بالإسلام، والتقى الثلاثة في مكان ما على الطريق بين مكة والمدينة المنورة. ساروا حتى بلغوا المدينة المنورة، وعلم الرسول بمقدمهم، فقال لأصحابه:

- لقد ألقت إليكم مكة بفلذات أكبادها.

التقى الأبطال الثلاثة خالد وعثمان وعمرو مع رسول الله، وأعلنوا

---

(١) عثمان بن طلحة: سبقت ترجمته في قصة مصعب بن عمير.

(٢) خالد بن الوليد: له ترجمة ستأتي بعد ذلك.

إسلامهم، وشهدوا أن الله واحد لا شريك له، وأن محمدًا رسول الله، ليبدأوا صفحات جديدة في تاريخ الإسلام، مضحين بكل ما سينالهم من قريش.

(٤)

في صيف سنة ٧هـ، كان الرسول يرسل بسفراء له إلى رؤساء وملوك الدول المجاورة، يدعوهم إلى الإسلام.

لم يكن قد مضى على إسلام عمرو بن العاص إلا بضعة شهور، حين اختاره الرسول سفيرًا إلى جيفر وعبد الله ابني الجلندي[1] ملكي عُمان[2]، فقد كان عمرو بن العاص على معرفة بهما.

كان هذان الملكان يخضعان لسيطرة الروم.

طلب رسول الله من أبي بن كعب أن يكتب كتابًا إلى ملكي عمان، جاء في ذلك الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله

إلى جيفر وعبد الله ابني الجلندي

---

(١) الجلندي بن كركر: أصله من قبيلة أزد، وهي قبيلة عربية، تفرع منها عدة بطون، سكنوا في عمان واليمن وغسان. (المنجد ص١٩).

(٢) عُمان: منطقة تقع جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، تطل على ساحل خليج عُمان (الخليج العربي الآن) والبحر العربي. في غربها كانت تقع حضرموت، وفي أقصى الغرب تقع دولة اليمن.

سلام على من اتبع الهدى أما بعد..

فإني أدعوكما بدعاية الإسلام.

أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيًّا، ويحق القول على الكافرين.

فإنكما إن أقررتما بالإسلام، ولَّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخَيْلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما(١).

بعد أن انتهى أبي بن كعب من كتابة الكتاب، ختمه الرسول بخاتمه، وأعطاه لعمرو بن العاص.

سعد عمرو بن العاص بهذه المهمة العظيمة، والثقة التي أعطاها له الرسول ﷺ، لعله أن يعوض بعض ما فاته من جهاد في سبيل الله والإسلام.

(٥)

غادر عمرو بن العاص المدينة المنورة متوجهًا إلى عُمان، وصور كثيرة تتراءى أمام عينيه، يدعو الله أن ينجح في مهمته، وأن يضم ملكي عُمان ابني الجلندي إلى حظيرة الإسلام، ليسعد الإسلام بهما ومن يتبعهما من رعاياهما، ولينعموا بالأمن والسلام في وطنهم.

كان عمرو لصلته الوثيقة بالأخوين ابني الجلندي يعلم عن جيفر،

---

(١) نص هذا الكتاب من كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ج٣ ص٦٠٥.

وهو الأخ الأكبر وهو الملك الأصلي المسئول، يعلم عنه سرعة غضبه، واندفاعه، وعدم تقديره الأمور بحكمة وروية.

بسهولة ويسر، وبدون تعنت من الحراس، التقى عمرو بن العاص بعبد الله بن الجلندي، وأعطاه كتاب رسول الله.

كان واضحًا أن الرسول يدعو الأخوين إلى الإسلام، فإن أسلما، فقد جمعا بين فضل الدنيا والآخرة.. وطابت لهما حياتهما في مملكتهما في أمن وسلام، لا يتازعهما فيه آخر، وتالا ثواب الآخرة، وإن لم يسلما ويؤمنا بدعوة محمد، فسوف يخسران ملكهما، ويحق للمسلمين مهاجمتهما، واحتلال أرضهما، ونشر الإسلام فيها، ولو كان ذلك على كره منهما، وسيفقدان بذلك ثواب الآخرة الذي وعده الله للمسلمين.

قرأ عبد الله بن الجلندي كتاب رسول الله عدة مرات، وأمعن في مواضع كثيرة منه.

أصابت الدهشة عبد الله.

يا للعجب!! عمرو بن العاص الذي كان عدوًا متربصًا بالإسلام، وأبوه العاص[1] الذي كان من أشد الأعداء الكارهين لمحمد.. كيف تغيرت الحال؟ كيف غيَّر عمرو جلده؟ ترك دين آبائه، واتبع دين محمد!

ثم هو.. عمرو أصبح يدعو الآخرين إلى الإسلام، ويحثهم عليه،

---

(١) أبو عمرو هو: العاص بن وائل الذي كان من أشد المعارضين للإسلام، وكان سعيدًا حينما مات القاسم وعبد الله ابني الرسول، وكان يقول عن الرسول الأبتر، لا عقب له يحملون اسمه، فيه أنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

ويناديهم أن يسلموا، لقد تغيرت أمور كثيرة في مكة ويثرب!!

سأل عبد الله بن الجلندي عمرو بن العاص:

- فهل هذه دعوة لنا، أم أنها دعوة محمد لدينه إلى ملوك آخرين؟

قال عمرو باعتزاز:

- بعث الرسول برسله إلى آخرين، كان منهم هرقل ملك الروم، ونجاشي الحبشة، وقد كاد هرقل أن يسلم، لولا معارضة قساوسته، وأسلم النجاشي ورجاله.

سأل الملك عبد الله عمر بن العاص:

- ما تدعو إليه؟

قال عمرو:

- أدعو إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، وأن تخلع ما يعبد دونه، وتشهد أن محمدًا رسول الله.

قال الملك عبد الله:

- يا عمرو.. إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟، فإن لنا فيه قدوة.

قال عمرو بن العاص:

- مات، ولم يؤمن بمحمد، وددت لو كان أسلم وصدق، ولكني اتبعت الإسلام، وهداني الله له.

فقال الملك عبد الله:

- متى كان إسلامك؟

قال عمرو بن العاص:

- عند النجاشي.

وحكى عمرو بن العاص قصة إسلامه وإسلام النجاشي.

سأل الملك عبد الله:

- وكيف صنع قومه بملكه والأساقفة؟

قال عمرو بن العاص:

- أقروه واتبعوه.

فسأل الملك عبد الله عمرًا:

- فما الذي يأمر به النبي، وينهى عنه؟

قال عمرو بن العاص:

- يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهي عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا والخمر، وعبادة الأحجار والوثن والصليب.

قال الملك عبد الله:

- ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا إليه حتى نؤمن بمحمد ونصدقه، ولكن أخي أعرف بملكه.

كاد عبد الله أن يعلن إسلامه، ولكنه عاد ينظر في كتاب رسول الله، وقال لعمرو: لكن الكتاب موجه إليَّ وإلى أخي جيفر، وأخي هو الملك الحقيقي لعمان، وهو مقدم عليَّ بالسن وله الملك، فهل لك أن تلقاه، وسأتحدث إليه بلسانك عما تريد، ولعل الله يوفقه إلى الخير.

(٦)

لابد إذن من لقاء بين عمرو بن العاص وجيفر بن الجلندي.

حاول عمرو بن العاص لقاء الملك جيفر، ولكن حراسه حالوا بينه وما كان يريد، لعل الأخوين في تلك الفترة كانا يتناقشان في اتخاذ قرار بشأن رسالة الرسول إليهما.

حتى استطاع عمرو بن العاص لقاء الملك جيفر.

كان مظهر الملك جيفر، وإمساكه بكتاب رسول الله بين أصبعيه في عدم اكتراث يوحي بأنه ليس مقتنعًا بما جاء في الكتاب، فأدرك عمرو بن العاص بفراسته ما يدور في ذهن جيفر، وأنه لا يكترث بما فيه من خير يناله إن أسلم، وما يصيبه من سوء إن أدبر عن الإسلام، وأن على عمرو أن يوضح له مزيدًا من الحقائق، لعله يعود إلى رشده.

وخشي عمرو بن العاص فشله في مهمته.

تقدم عمرو إلى الملك جيفر في ثقة واعتزاز، لم يرهبه مجلس رجاله حوله وعظمته وشموخه الذي كان معروفًا به.

قال عمرو:

- أيها الملك العظيم.. أعلم عنكم فطنتكم، وحكمتكم، لخير لكم أن تسلموا وأن يسلم رجالكم وقومكم، وأن تدخلوا في دين محمد، لتأمنوا سلامتكم، ويكون لكم الأمن لمملكتكم.

قال الملك جيفر في خشونة واستعلاء:

- فإن لم نفعل؟

أسرع عمرو بقوله في ثقة:

- فلا تلومن إلا نفسك، وتكون تبعة ما فعلت سوءًا على قومك، حين يستبيح جيش المسلمين أرضك وديارك.. أفلا ترى أنه من الخير لك أن تسلم على أن يبقيك الرسول على ما أنت عليه ملكا على شعبك.

كان الملك عبد الله حاضرًا الجلسة، فهمس في أذن أخيه جيفر:

- لقد أعلن هرقل - وهو سيدنا- إسلامه، لولا اعتراض قساوسته ورجال دينه.. وحين رفض كسرى الإسلام، عاقبه الله، سقط ملكه على يد ابنه، وأرى أن من الخير أن نتبع دين محمد، فندعو أهلنا إلى اتباعه، حتى نأمن ما قد ينالنا من سوء، وأنا أعلم أن محمدًا قد اتسع دينه، وقهر أعداءه من قريش واليهود، ولن يسكت علينا إن رفضنا، لقد استطاع محمد بدينه الذي يدعو إليه أن يطرد اليهود من مواقعهم وحصونهم في المدينة، وأن ينتصر على قريش، حتى اضطروا أن يقيموا معه صلحًا.. على هدنة.. ما أحسب إلا أن محمدًا صادق. فضلا على أن ما يدعونا إليه فيه خير وأمن وسلام لنا ولشعبنا، وعدم إيماننا به فيه هلاك وشر يصيبنا.

سعد عمرو بن العاص، وقد أدرك أن الحقائق وضحت أمام جيفر.

عاد عمرو بن العاص يقول:

- اعلم أيها الملك أن الله معنا، وأننا لا نشرك به، ولا نعبد الأوثان، ولقد جاء محمد إلى الناس كافة بخير لهم وسلام، إنه يدعو إلى الحق

والهداية، وإلى طريق الحق، وخير لك أن تتبعه.

هنالك ثاب جيفر إلى رشده، وشرح الله صدره إلى الإسلام، فقال لعمرو:

- فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وتبعه أخوه عبد الله، فنطق بالشهادتين، ثم قاما من مجلسهما، وشدَّا على يد عمرو بن العاص، وقد غمرتهما الفرحة والرضا.

ثم استدعى الملكان أحد رجالهما، فكتب كتابًا إلى رسول الله، يعلنان فيه إسلامهما، واتباعهما لدين محمد، وأن كثيرًا من قومهما قد لبوا دعوة الإسلام، وآمنوا بمحمد رسولاً من عند الله.

ثم اتجه جيفر بن الجلندي إلى عمرو بن العاص، وقال له:

- لقد دلني على هذا النبي أنه لا يأمر بخير إلا كان هو آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغلب، فلا يبطر، ويُغلب، فلا يهجر، وأنه يفي العهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه رسول من عند الله.

ثم أنشد أبياتًا منها:

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها ... من الحق شيء والنصيح نصيح

فقلت له ما زدت أن جئت بالتي ... جلندي عمان في عمان يصيح

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ... ينادي بها في الواد بين فصيح (١)

(١) الإصابة في معرفة الصحابة- باب الجيم بعد اللام والميم- ج١ ص١٧٧.

(٧)

أقام عمرو بن العاص بعمان ضيفًا على الملكين عبد الله وجيفر ابني الجلندي سعيدًا بنجاحه.

ثم عاد إلى المدينة المنورة، يعلن للرسول ﷺ نجاحه في مهمته، واتساع رقعة الإسلام، لتشمل أرض عمان.

بقي عمرو بن العاص بجوار الرسول ﷺ، يشاركه الكفاح والجهاد في سبيل الله وإعلاء راية الإسلام.

واستمرت الحياة بعمرو خلال عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب بعد وفاة النبي وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وشاء الله لعمرو بن العاص أن يكون قائدًا لجيوش المسلمين، حيث انتصروا على الرومان، ودخل الإسلام مصر سنة ٢٠هـ، وجعله عمرو بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان واليًا على مصر.

كما اشترك عمرو بن العاص في الصراع الذي دار بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، حتى توفى سنة ٣٤هـ.

رحم الله عمرو بن العاص، وغفر له تأخره عن الإسلام، وموقفه من مهاجري الحبشة، وأثابه على جهاده في سبيل الله من أجل اتساع رقعة الإسلام في عمان ومصر، ليكون له في التاريخ صفحات مشرقة وبطولات عظيمة.

سليط بن عمرو العامرى

سفير رسول الله

إلى هوذة الحنفى ملك اليمامة

(١)

أشرق نور الإسلام على مكة، وأعلنه الرسول جهرًا من فوق جبل الصفا.

كان سليط بن عمرو[١] أحد الذين أنار الله قلوبهم بالإسلام مبكرًا، كان أحد السابقين إليه، اقتناعًا وإيمانًا وثقة في نبوة محمد ﷺ.

مثل غيره من كثير من المسلمين، عانى سليط قسوة وتعذيب سادة مكة وقريش، الذين كانوا دعاة حرب على الرسول ﷺ والإسلام والمسلمين!!

استجاب سليط لدعوة الرسول بالهجرة إلى الحبشة، هاجر هو وزوجه قهطم (فاطمة) بنت علقمة الهجرة الثانية إلى الحبشة.

سارت الأمور بالمسلمين في مكة، وسليط سعيد في غربته مع زوجه وولده، ينتظرون بلهفة فرصة العودة إلى مكة، حتى عادوا، وهاجر سليط إلى المدينة المنورة؛ ليكون بجوار رسول الله ﷺ يؤازره ويناصره من أجل أن ترتفع راية الإسلام.

وإذا كانت الظروف لم تسمح لسليط أن يشترك في معركة بدر، فقد اشترك في معركة أحد وما تلاها من مشاهد مع رسول الله ﷺ، وأبلى في هذه المعارك بلاءً حسنًا.

---

(١) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر. قبيلته من اليمن.
(طبقات ابن سعد ج٤ ص٢١٩، والإصابة ج٢ ص٩٦).

ثم اختاره الرسول ليكون سفيرًا له إلى هوذة[(١)] بن الحنفي ملك اليمامة[(٢)].

كان ذلك في المحرم سنة ٧هـ.

(٢)

تسلم سليط بن عمرو كتاب رسول الله، وغادر المدينة المنورة في طريقه إلى اليمامة، واتجه إلى قصر الملك هوذة.

التقى سليط بالملك، وأعطاه كتاب رسول الله الذي جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله
إلى هوذة بن علي
سلام على من اتبع الهدى
واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر
فأسلم.. تسلم.. وأجعل لك ما تحت يديك[(٣)].

قرأ هوذة كتاب رسول الله أكثر من مرة، وتدبر كلماته جيدًا.

إنه يدعوه إلى الإسلام، ويؤكد له أن الإسلام سيظهر، وسينتشر في كل

(١) هوذة الحنفي: كان يعرف بذي التاج الذي ألبسه له كسرى ملك الفرس، كان شاعرًا، وخطيبًا في قومه.
(٢) اليمامة: دولة في شبه الجزيرة العربية، كانت تقع غرب البحرين وشرق نجد، كانت عاصمتها هجر.
(٣) نص هذا الكتاب من كتاب الرسول المبلغ ص٢٢١، وزاد المعاد ج٣ ص٦٠٥.

الجهات على كل الناس الذين يركبون الإبل أو الخيل، هذه حقيقة يجب أن يدركها هوذة، وهو يقرر قراره عن الإسلام.

فإن أسلم، فاز بخير الدنيا والآخرة، في الدنيا سيثبته الرسول في ملكه، لا ينازعه فيه منازع، ولا يشاركه فيه أحد، وسينال ثواب الآخرة.

وإن رفض الإسلام، سيهاجمه المسلمون، ويقضون عليه وعلى مملكته، ويحرم من ثواب الآخرة.

ماذا يفعل هوذة؟ وماذا يكون موقفه مع كسرى ملك الفرس الذي ألبسه التاج، وجعله ملكًا على اليمامة؟

لاشك أن هوذة كان يعلم ما أصاب كسرى.. ثار عليه أبناؤه، وقتله ابنه شيرويه، كان هذا جزاءه؛ لأنه مزق كتاب الرسول، ورفض الإسلام.

ولعل هوذة قد علم بما فعله باذان ملك اليمن حين تأكد من صدق نبوة محمد، وأنه رسول من عند الله.. لا يأتيه الباطل من بين يديه، وأن الله معه ينصره على أعدائه.

حاول هوذة أن يتدبر كل الحقائق، ويوازن بين الأمرين: الإسلام أو الرفض، وما سيتحمله من عواقب وخيمة إن تنكر للإسلام ورفضه.

لم يكن هوذة يفكر في الإسلام كدين حق، ولكنه كان يقدره لما سيناله من مكاسب إذا اتبعه، وما سيفقده من خسائر إن رفضه.

كانت المصلحة الشخصية وحب الملك تطغى على فكره وقلبه.

واضح أنه لم يكن يؤمن بالإسلام كدين.. أحس هوذة أنه يعيش في مأزق يحيره.. إنه في مفترق طريقين، لا يدري أيهما خير له أن يسير فيه!!

(٣)

بعد تفكير ودراسة هوذة لكتاب الرسول، كتب كتابًا إليه جاء فيه:

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله والعرب تهاب مكاني

فاجعل إليَّ بعض الأمر أتبعك[١].

كلمات تدل على تعاظم هوذة، يحاول بها أن يعلن عن مكانته بين أمته والأمم الأخرى، لعله كان يقصد الفرس والروم.

وأعلن هوذة للرسول في كتابه أنه صاحب تاج ملكي، وأنه لن يسلم لمحمد ودين الإسلام، إلا إذا جعل له محمد نفوذًا، وبعض أمور الدولة الإسلامية مقابل إسلامه!! وكأنه بذلك يريد أرضًا تخْضع لملكه، يريد اتساع مملكته مقابل إسلامه.

واضح أن الملك هوذة كان يعيش بنفس العقلية التي كان يعيشها صاحبه مسيلمة الكذاب[٢].. الذي ادعى النبوة بعد ذلك، والذي اشترط على الرسول أن يكون له- أي لمسيلمة- الأمور من بعده، أي حكم الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول!!

وحتى يحاول هوذة الخداع والتضليل مع نفسه، أكرم سليطًا سفير الرسول وكساه ثوبًا من نسيج هجر، ومنحه جائزة، ليكون له شفيعًا-

---

(١) نص هذا الكتاب من كتاب زاد المعاد ص٦٠٨.

(٢) راجع في هذا الكتاب قصة مسيلمة الكذاب، وسفارة خبيب بن زيد إليه، إحدى قصص الفصل الثاني من هذا الكتاب.

حسب ظنه- عند الرسول، ليجعل له بعض النفوذ والقوة فيما حوله.

ثم كتب كتابًا إلى الرسول، وضح فيه وجهة نظره، والتي بدا فيها تردده، وعدم إسلامه.

(٤)

حمل سليط بن عمرو العامري كتاب هوذة، وعاد إلى المدينة المنورة، حيث قدم الكتاب إلى رسول الله ﷺ.

وحينما سمع الرسول ما كتبه هوذة في رسالته، وما حدث بينه وبين سليط، وأنه يطلب أن تكون له السيطرة والنفوذ في الدولة الإسلامية، قال الرسول لمن حوله:

- **«لو سألني سيَّابة من الأرض ما فعلت.. بادَ، وبادَ ما في يديه»**.

أي أن الرسول يرفض أن يعطي لهوذة قطعة من الأرض يسيطر عليها بنفوذه مهما صغرت هذه القطعة، حتى إن كانت في مساحة حبة بلح.

لم يكن الرسول ﷺ يرضى أن يكون لهوذة ما يقابل إسلامه، لأن الإسلام لا يمنح صاحبه أرضًا، ولا منصبًا، لكنه يمنحه الأمان والسلام في الدنيا، والثواب في الآخرة.

لاشك أن سليطًا أحس بفشله في سفارته.. لكن صورة هوذة لم تكن إلا صورة لبعض الناس الذين طمس الشيطان على قلوبهم، وأعمى بصيرتهم.

ولندع هوذة في مملكته اليمامة يسير على هواه، مستمرًا على كفره، رافضًا الإسلام.

(٥)

هدأ هوذة ملك اليمامة في فراشه ذات يوم.. يستحث الغمض، لكن النوم نأى عنه، فلا سلطان لأحد، ولو كان ملكًا، على النوم، فبقى ساهرًا، وطال به السهاد، حتى ظن أن ليله لن يعثر على فجره!!

لم يكن قد بقي من الليل إلا بضعة سطور، يوشك ضوء النهار أن يأتي بعدها حين غفت عينا هوذة غفوة لا علم له بمداها، فرأى فيما يرى النائم كأنه يقف على شفير بئر قد تقببت جدرانه، وابتعد ما بين قاعه وشفيره.

فجأة.. أحس بيد تقبض على ظهره، ثم تدفعه إلى قاع البئر، فهوى فيها، يحاول الصعود، ولكنه لا يستطيع، فما يملك إلا أن يستصرخ رجاله، لينقذوه، لكن صرخاته لم يسمعها أحد، كان هو يسمع صداها يتردد في البئر، حتى استيقظ حراسه على صراخه، فما يدري ماذا يفعل، ترى.. ماذا سيحدث.

(٦)

لحكمة شاءها الله، التقى هوذة الحنفي في دمشق ذات يوم برجل من كبار وعظماء نصارى الروم، كان يدرك أن نبوة محمد صدق، وأن دعوته ستظهر.

إنه هو أركون الرومي[(١)].

أفلتت الكلمات من لسان هوذة، وأخبر أركون أن محمدًا بعث برسالة

(١) أركون: أسلم بعد ذلك على يد خالد بن الوليد عند فتح الشام.

إليه يدعوه فيها إلى الإسلام، وأنه -أي هوذة- رفض الإسلام.

اندهش أركون وسأل هوذة:

- فهل تشك في دين محمد، وأنه رسول من عند الله؟

قال هوذة:

لا.. بل أنا واثق من نبوته، وأن الإسلام دعوة حق في الدنيا، وثواب في الآخرة.

سأل أركون:

- فلمَ لم تسلم، وتتبع محمدًا، وتسير على هدى دينه؟

قال هوذة:

- فكرت بين الإسلام وملكي، فآثرت أن أكون ملكًا على أن أكون مسلمًا، حسبت أن يكون في إسلامي ضياع لسلطاني وهيبتي في ملكي.

قال أركون لهوذة:

- أخطأت، كان خيرًا لك أن تسلم، لتبقى في ملكك، يحفظه الإسلام لك. إني مسيحي، ومع ذلك أؤمن بنبوة محمد، ودعوته التي بشر بها عيسى.

لا شك أن هوذة بن علي الحنفي قد أحس في هذا الموقف كأن لطمة قوية هوت على وجهه، فما يملك إلى أن يعض على نواجذه، لكن طمعه كان أقوى من أن يعود إلى الرشاد، واستمر على كفره.

بقي هوذة على كفره.. يأمل أن تطول به الحياة، وأن يتسع ملكه.

لكن مشيئة الله أبت إلا أن تحرمه الملك وثوابه في الآخرة، فمات كافرًا؛ ليكون موته هذا عظة لغيره من أصحاب الملك والعظمة المظلمة.

(٧)

استقر سليط بن عمرو العامري بالمدينة المنورة بعد عودته من سفارته إلى البحرين، يشارك الرسول والمسلمين حياة النصر، واتساع راية الإسلام، حتى توفى رسول الله، وخلفه أبو بكر الصديق.

بعد وفاة الرسول، ارتد بعض المسلمين عن الإسلام، وادعى بعضهم النبوة، كان منهم مسيلمة الكذاب في بني حنيفة، وتبعه كثير من أهله.

لذلك بعث أبو بكر الصديق إليهم جيشًا، قاتل الأعداء بشجاعة، حتى استشهد.

كان ذلك سنة ١٢هـ.

رحم الله سليط بن عمرو، أحد أبطال معركة أحد، وسفير رسول الله إلى ملك اليمامة، والذي كان بطلاً في قتال المرتدين، وكفاه فخرًا أنه مات شهيدًا. وله الجنة.

شَجَاعُ بْنُ وَهْبٍ الأَسَدِيّ

سفير الرسول

إلى الْحَارِثِ بِنِ أَبى شَمِرَ الْغَسّانِىّ

(١)

النزعة إلى السيطرة، وحب التملك من طبيعة النفس البشرية، منذ فجر التاريخ، وعلى مر العصور، مما كان طريقًا للحروب والصراعات بين الدول، وليس من السهل أن تبرأ البشرية من هذه النزعة التي تسود بين العمالقة، فتنعكس آثارها على الأقزام!!

وحين ظهر الإسلام في نهاية العقد الأول من القرن السابع الميلادي أي سنة ٦١٠، كان العالم تتنازعه وتتصارع عليه دولتان عملاقتان هما: الرومان والفرس، كل منهما تحاول أن تستأثر بالزعامة والسيطرة على مقاليد العالم.

ولرغبة كل من الدولتين في مزيد من الأمان لهما، وبعيدًا عن تلقي ضربات العدو.. اتخذت كل من الدولتين دويلة صغيرة، أو إمارة على حدودها تدور في فلكها، وعلى هدى منها.

فاتخذت الدولة الرومانية على حدودها الجنوبية إمارة الغساسنة[(١)].

---

(١) الغساسنة: سلالة عربية، أصلهم من اليمن، هاجروا إلى هذه المنطقة بعد انهيار سد مأرب، واستوطنوا منطقة حوران التي تقع شرق نهر الأردن وفينيقيا اللبنانية، واتخذوا عاصمة لهم مدينة بصرى التي كانت سوقًا تجارية للقوافل القادمة والمتجهة بين مصر ومكة والعراق والحجاز، وصلها رسول الله ﷺ في إحدى رحلاته مع قافلة للسيدة خديجة قبل البعثة المحمدية، كان سكانها يدينون بالمسيحية، ثم اعتنقوا الإسلام بعد ذلك، من أشهر أمرائها: الحارث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثالث أمير الحيرة (المناذرة) سنة ٥٢٨م، والمنذر ابن الحارث الذي دخل الحيرة وأحرقها سنة ٥٩٠م، والنعمان الذي خرج على طاعة الروم سنة ٦١٤م . (المنجد ص٣٧١).

كما اتخذ الفرس إمارة المناذرة في الحيرة[١] على حدودهم الغربية.

واستمر العداء بين الدولتين والإمارتين، تنتصر إحداهما أحيانا، ثم تخبو وتهبط مكانتها، لترتفع الأخرى.

حتى شاء الله أن تكبر دعوة الإسلام، وتتسع مساحتها في مكة والمدينة، ثم تنتشر خارجهما، وتتسع بعد ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، لتشمل مناطق كثيرة من الدولتين.

وحين استقرت أمور المسلمين في المدينة المنورة.. كان علي الرسول أن يبعث بسفراء له إلي الدول المجاورة يدعوهم فيها إلي الإسلام.

كان الرسول ﷺ يختار سفراءه من صحابته المشهود لهم بقوة الإيمان والشجاعة وحسن التصرف بحكمة في مواجهة المواقف، واللباقة في الحديث، وفصاحة اللسان، والدراية بظروف الحياة واللغة في الدولة التي يبعث إليها سفيره.

لذلك اختار شجاع بن وهب [٢] سفيرًا له إلي الحارث بن أبي شمر أمير غسان.

---

(١) المناذرة: اللخميون هم بنو لخم، أصولهم من اليمن، اتخذوا عاصمة لهم مدينة الحيرة (علي بعد ٥كم من الكوفة) قامت العداوة بينهم وبين الغساسنة، تبعًا للعداوة بين الفرس والروم، كانوا مسيحيين، ثم أسلموا بعد ذلك، من أشهر أمرائهم: امرؤ القيس الثالث (٥٠٧-٥١٤م) والمنذر الرابع (٥٧٣-٥٨٠) والمنذر الخامس (٦٢٨-٦٣٤). (المنجد ص ٤٦٠).

(٢) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك.. أسدي من بني خزيمة. (طبقات ابن سعد ج٣ ص٨٨، والاستيعاب ج٢ ص٧٩).

(٢)

كان شجاع واحدًا من السابقين إلي الإسلام، هاجر إلي الحبشة في الهجرة الثانية، لكنه لم يمكث فيها طويلاً، فقد عاد إلي مكة حين علم بقوة الإسلام وعزته لإسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب.

ثم هاجر إلي المدينة المنورة، وآخي الرسول بينه وبين أوس بن خولي [(١)].

أمَّره الرسول ﷺ على سرية من ٢٤ رجلاً إلي هوازن بأرض عامر، فهاجمهم في الصباح الباكر، وغنم منهم غنمًا وشياهًا كثيرة.

رغم نحافة شجاع، إلا أنه عرف بالشجاعة في قتال الأعداء، لذلك اشترك في معارك بدر وأحد والخندق وكثير من المشاهد مع رسول الله.

(٣)

اختار الرسول ﷺ شجاع بن وهب سفيرًا له إلي الحارث الغساني.

أمر الرسول ﷺ أحد كتابه، فكتب كتابًا إلي الحارث الغساني.. هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله

---

(١) أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الجبلي.. كان في الجاهلية أحد الكملة (الذين يجيدون الكتابة والعربية والسباحة) شهد بدرًا وأحدًا والخندق وكثيرًا من المشاهد مع رسول الله، أمره الرسول علي السلاح في عمرة القضاء سنة ٧هـ، أختاره الأنصار وكيلاً عنهم في حضور غسل الرسول وكفنه ودفنه. استشهد في حرب المرتدين سنة ١٢هـ. (طبقات ابن سعد ج٣ ص٨٦).

إلي الحارث بن أبي شمر

سلام علي من اتبع الهدي، وآمن بالله وصدق.

وأني أدعوك إلي أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقي لك ملكك[(١)] .

كان معني هذا أن يتخلى الحارث الغساني عن موالاته للروم، وأن يسلم، ليبقي له ملكه.

لعل الرسول ﷺ شاء بهذا أن يعري الرومان الذين كانوا ينوون الشر بالمسلمين، ويستعدون لمهاجمتهم، وأن يكون اتباع بلقاء الرومان علي عهد ووفاء المسلمين، فقد كان الرسول يري بما وهبه الله من شفافية الإيمان أن الإسلام سيدخل بلاد الروم، وستكون الشام ومصر من أملاك المسلمين.

أتخذ شجاع بن وهب طريقه من المدينة المنورة إلي بصري.. فلما وصلها، علم أن أميرها الحارث في زيارة ستطول لإيلياء (القدس) حيث يشارك إمبراطور الروم هرقل الاحتفال بالانتصار علي الفرس، واستعادة إيلياء منهم.

كان على شجاع أن ينتظر في بصرى طويلاً، حتى يعود الحارث من إيلياء. شاءت الظروف أن يلتقي شجاع برئيس ديوان المملكة، وكان اسمه مرى.

أخبر شجاع مرى بمهمته، وأنه جاء ليسلم الحارث الغساني كتاب الرسول محمد بن عبد الله الذي يدعوه فيه إلى الإسلام، فدار حديث طويل

---

(١) نص هذا الكتاب من كتاب الرسول المبلغ ص٢٨٨.

بين مرى وشجاع، وعرف مري من خلاله كثيرًا عن رسول الله وصفاته ودعوته.

ولأن مري كان مسيحيًا.. دارسًا للإنجيل، وكان يعلم أن الإنجيل بشَّر بظهور نبي جديد، لذلك أعلن مري إسلامه لشجاع، وعاهده أن يساعده عند الأمير الغساني، حين يعود من رحلته.

شهد مري أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فكان هذا بداية نجاح لمهمة شجاع.

(٤)

بعد حين.. وصل الحارث بن أبي شمر إلى بصرى، فأخبره مري بمقدم رجل عربي، يحمل كتابًا من محمد رسول الله، يدعوه فيه إلى الإسلام.

أمر الحارث رجاله بعقد إيوانه، وحضور جمع كبير من وزرائه ورجال دولته من البطارقة والقساوسة، ليكونوا شهودًا على هذا اللقاء بينه وبين سفير محمد الذي يقول إنه رسول الله.

في ثقة واعتزاز، دخل شجاع قاعة الملك، وتقدم إلى الملك الحارث الغساني وأعطاه كتاب رسول الله.

فأعطى الحارث كتاب الرسول إلى أحد الأعراب ليقرأه.

ما كاد الحارث يسمع ما جاء في كتاب رسول الله، حتى أخذته العزة بالإثم، واستشاط غضبًا وألقى بكتاب الرسول على الأرض. صورة لموقف كسرى!!، ودفعه الغرور، وشهوة العظمة، فنادى في رجاله:

- جهزوا رجال الجيش لمهاجمة المدينة، لقتال محمد الذي يدعي أنه رسول من عند الله.. يطلب مني، وأنا سيد العرب أن أترك المسيحية، وأتبع دينه!! وسأكون قائد هذا الجيش لألقن المسلمين ورسولهم درسًا لن ينسوه.

بينما خرج الحراس، ليبلغوا رجال الجيش بالاستعداد بالأسلحة والعتاد، لم يجد شجاع بن وهب أمامه من خيار له إلا أن ينسحب من مجلس الملك الحارث، أسفًا على سوء موقفه وكبره وتعاظمه.

وبينما كان شجاع يغادر مجلس الملك، اتجه إليه الحارث، وقال له في تبرم:

- بلغ رسولك أن هذا هو ردي على كتابه، إعلان الحرب عليه، ليعلم مدى قوة الغساسنة، وأنهم لن يتركوا مسيحيتهم، ولن يدينوا بدين آخر غير دين المسيح عيسى، وموعدي مع رسولك ورجاله في المعركة.

(٥)

التقى شجاع بن وهب بعد ذلك مع مري رئيس ديوان الحارث وكل منهما يفيض أسفًا وحزنًا على موقف الملك، لقد كان مرى يتمنى أن يتعقل الحارث، وأن يتدبر الحقيقة، ويتعظ مما حدث لكسرى، لكن الشيطان طمس على قلبه، وأصم أذنيه، فتاه في بحور الضلال، يدفعه إلى ذلك ترفه وما في نفسه من عظمة.

وقبل أن يودع شجاع صديقه المسلم مرى.. قال له مري:

- بلغ تحياتي وسلامي إلى محمد رسول الله، وأخبره أن الله فتح قلبي

للإسلام واتباع دينه.. وسأبقى مسلمًا ما حييت، ولن يستطيع أحد أن يردني عن الإسلام، مهما كلفني ذلك من مشاق، وسينتقم الله من الحارث.

عاد شجاع بن وهب إلى المدينة المنورة، والتقى برسول الله ﷺ، وأخبره والأسى يملأ جوانحه بما كان من موقف الملك الحارث الغساني، فقال الرسول لمن حوله:

- باد ملكه.

ترى.. هل يستجيب الله لدعوة نبيه؟!

(٦)

استمر الحارث الغساني في شططه وغطرسته، فبينما كان رجاله يجهزون جيشًا لمهاجمة المدينة المنورة تنفيذًا لمشيئته، أراد الحارث أن يثبت وفاءه لسيده هرقل ملك الروم، وأنه ما يزال على عهده وطاعته، فبعث إليه برسالة، يخبره فيها بما وقع بينه وبين سفير محمد، وما فعله بكتابه، وأخبره أنه يستعد بجيش يقوده هو بنفسه؛ لمهاجمة المدينة، حتى يقضي على محمد ومن معه من المسلمين.

ولأن هرقل ملك الروم كان يدرك الحقائق، ويعلم أن محمدًا صادق في نبوته، وأنه ورجاله أقوى من جيش الحارث، لذلك نصح هرقل الحارث الغساني ألا يفعل ما يريده، وأن يحافظ على جيشه، وألا يهاجم المدينة، وأن يصرف النظر عن قتال المسلمين.

ونزل الحارث الغساني على أمر سيده هرقل ملك الروم، فأوقف

استعدادات رجال جيشه للقتال.

لم يمض على هذا الموقف إلا بضعة شهور، حتى مات الحارث الغساني تاركًا أرضه وملكه، بعد أن خسر الدنيا والآخرة.

لقد استجاب الله لدعوة رسوله الكريم، إنها مشيئة الله ولا راد لما يشاؤه الله.

رحم الله شجاع بن وهب بقدر ما بذله من جهاد في سبيل الله، وما ناله من مشاق وتعب في سفارته إلى الغساسنة، وجزاه خيرًا عن الإسلام والمسلمين، فقد كان واحدًا من صادقي الإسلام ورجاله الأوفياء له.

المهاجر بن أبي أُميَّة

سفير الرسول

إلى الحارث الحِمْيَرى ملك اليمن

(١)

اليمن جزء من شبه الجزيرة العربية، يقع في جنوبها الغربي، وكان لليمن علاقات وثيقة وروابط تجارية موصولة مع مكة وقريش.

وحينما نتحدث عن اليمن نذكر رحلات التجارة المتتابعة بين اليمن ومكة.

ثم مقدم أبرهة ملك اليمن بجيش كبير؛ لهدم الكعبة، ولكن الله خذل أبرهة ورجاله وحمى الكعبة منهم كما جاء في القرآن الكريم:﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣-٥].

كان ذلك عام ٥٧٠م والذي عرف بعام الفيل، ويرى بعض الرواة أن الرسول ولد في هذا العام أو الذي يليه.

وحينما ظهرت دعوة الإسلام في مكة، كان اليمن خاضعًا لحكم الفرس الذين يدينون بالمجوسية.

وتتابعت الأمور بعد ذلك في كل من مكة والمدينة، حيث كثر أتباع الدين الإسلامي، بينما كان كثير من اليمينين يدينون بالمسيحية.

(٢)

تذكر صفحات التاريخ الإسلامي أن الرسول سنة ٧هـ بعث بكتب

كثيرة إلى رؤساء وملوك الدول المجاورة.. كان منهم: أبرويز كسرى الفرس الذي حمل كتاب الرسول إليه الشهيد عبد الله بن حذافة[١].

ورفض كسرى دعوة الرسول، ومزق كتابه، فدعا الرسول عليه أن يمزق الله مملكته.

لم يكتف كسرى بذلك، ولكنه كتب كتابًا إلى عامله في اليمن باذان (بادام) يطلب منه أن يرسل رجلين من عنده إلى المدينة المنورة، ليقبضا على محمد، ويسوقاه إلى المدائن، ليرى فيه كسرى ما يراه من تأديب له؛ لخروجه عليه ودعوته إلى دين جديد!!

وذهب رجلا باذان إلى المدينة، والتقيا برسول الله، فعلما منه ما أدهشهما.. لقد قتل كسرى أبرويز، وخلفه في ملكه ابنه شيرويه بعد أن قتل أباه.

وعاد الرجلان إلى اليمن، ليخبرا باذان بما سمعاه من الرسول، تأكد باذان من الحقيقة، فأعلن إسلامه، وأسلم كثير من أهل اليمن.

كانت هذه الأحداث بداية لبذر بذور الإسلام في اليمن.

(٣)

بعث الرسول المهاجر بن أمية بكتاب إلى الحارث الحميري ملك اليمن، يدعوه فيه إلى الإسلام، ويؤكد صدق دعوته، فأسلم الحارث وتبعه أهل اليمن.

---

(١) راجع سفارة عبد الله بن حذافة إلى كسر[illegible] احد [illegible]ضوعات هذا الكتاب.

بعد عودة الرسول من غزوة تبوك، لقيه في رمضان سنة ٩هـ وفد من أهل اليمن، كان فيهم الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين، وهمدان، ومعافر، وأخبروا رسول الله ﷺ أنهم فارقوا الشرك وأهله، واتبعوا الإسلام، فكتب الرسول إليهم كتابًا.. جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله

إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر. أما بعد

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.. أما بعد

فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهدايته، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه، وما كتب على المؤمنين[1].

وحدد الكتاب في عهده ما يجب على أهل اليمن من أن يدفعوا من زكاتهم من الثمار والتجارة والذهب.. وغيرها.

* * *

(١) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص٢٨١، ٢٨٢، والبداية والنهاية ج٣ ص٧٠.

(٤)

سارت الأمور في اليمن على خير، وتتابع من المدينة إرسال عمال الرسول على الصدقات والزكاة، كان منهم المهاجر بن أبي أمية[١] ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد.

حتى ظهر الأسود العنسي مُدَّعيًا النبوة، وطرد عمال الرسول.

اشتد نفوذ الأسود، وقتل ابن باذان، وتزوج امرأته.

لكن سرعان ما تآلب على الأسود رجاله.. وقاتله المسلمون، وثارت عليه زوجته وقتلته، انتقامًا لزوجها ابن باذان الذي قتله الأسود، ووصلت أخبار القضاء على الأسود العنسي ورجاله في بداية عهد أبي بكر الصديق.

وعاد اليمن إلى حظيرة الإسلام.

---

(١) المهاجر بن أبي أمية بن عمرو بن مخزوم. قرشي مخزومي. وهو أخو أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين، شهد بدرًا مع كفار قريش، تأخر إسلامه، ولما أسلم، كان اسمه الوليد، فسماه الرسول المهاجر. تخلف عن غزوة تبوك، فعتب الرسول عليه، فلم تزل أخته أم سلمة تعتذر للرسول، حتى عفا عنه. ولاه الرسول على صدقات صنعاء باليمن، فخرج عليه الأسود العنسي. اشترك في قتال المرتدين عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق. (الإصابة ج٣ ص٦١٥).

أبو عُبَيْدة (عامر) بن الجَرَّاح

سفير رسول الله

إلى نصارى نجران

(١)

حين بزغت شمس الإسلام في مكة.. كانت نجران[1] يقوم أهلها على الديانة المسيحية التي انتشرت فيها، خصوصًا بعد انتهاء عصر الملك الظالم سيف بن ذي يزن.

وحينما بدأ الرسول نشر دعوة الإسلام عن طريق سفراء له، يبعثهم بكتبه إلى الدول المحيطة، كان يحكم نجران ثلاثة من النصارى هم:

السيد: وهو الزعيم الأول، وكان اسمه شرحبيل بن وداعة الهمذاني.

العاقب: وهو الشخص الثاني في الدولة، وكان اسمه عبد المسيح.

---

(١) نجران: منطقة تقع بين شمال اليمن، وجنوب المملكة العربية السعودية، كانت تابعة للملكة اليمنية، حتى قامت ثورة السلال في اليمن سنة ١٩٦٢م وأعيد تخطيط اليمن، فأضيفت نجران للمملكة العربية السعودية.

ونجران هذه هي المنطقة التي وقعت فيها أحداث قصة أصحاب الأخدود التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ١ - ٨].

وتتلخص وقائع هذه القصة التي وقعت حوالي سنة ٥٥٢م في أن الملك سيف بن ذي يزن أحد ملوك مملكة حمير، كان ملكا على نجران، وكان يهوديًا متعصبًا.. في تلك الفترة، دخلت الديانة المسيحية نجران في عهد الملك قسطنطين الثاني إمبراطور روما (٣٣٧-٣٦١) وتعدد النزاع بين اليهود والمسيحيين، لذلك أمر ذو نواس بحفر خندق (شق في الأرض) وأشعل فيه النيران، وكان يلقي فيه المسيحيين الذين يرفضون العودة إلى اليهودية.

الأسقف: وهو الزعيم الديني والروحي، وكان اسمه أبا حارثة بن علقمة.

***

في سنة ٨هـ بعد فتح مكة، بعث الرسول بكتاب[١] إلى زعماء نجران، يخبرهم فيه بدعوة الإسلام.

كان نص الكتاب الذي بعثه الرسول إلى نصارى نجران:

بسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب

من محمد رسول الله

إلى أسقف نجران وأهل نجران

إن أسلمتم، فإني أحمد الله إليكم، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم، فقد آذنتكم بحرب والسلام[٢].

(٢)

تسلم كتاب رسول الله زعيم نجران الديني أبو حارثة بن علقمة.

احتار أبو حارثة ماذا يفعل، وبم يجيب رسول الله؟

إن الرسول يدعوه إلى دين الإسلام، وأن يترك المسيحية، أو أن يدفع

(١) لم نستدل على الصحابي الذي أخذ هذا الكتاب، وأعطاه لزعماء نجران (المؤلف).
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج٣ ص١٨٦.

الجزية، ولم يكن أبو حارثة يعرف ما هذه الجزية وأهميتها، وكيف يدفعها، فإن رفض الإسلام أو دفع الجزية، فإن المسلمين سيهاجمونه بجيش يقضي عليه وعلى أصحابه!!

ولاشك أن أبا حارثة بن علقمة كان يعلم عظمة جيش المسلمين، وقوة رجاله وشجاعتهم، وأنهم انتصروا على اليهود وعلى قريش في عدة معارك، كان آخرها فتح مكة، وتطهير الكعبة من الأصنام، مما يدل على قوة جيش المسلمين، ورغبتهم في النصر أو الشهادة.. وكان أبو حارثة يعلم عن رجال نجران عدم قدرتهم على مواجهة جيش المسلمين.

فتشاور الزعماء الثلاثة. السيد والعاقب والأسقف.. ماذا يفعلون بعد أن قرأ كل واحد من الثلاثة كتاب رسول الله إليهم؟

اختلف الزعماء الثلاثة. لم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار يرضي عنه الجميع، تشتت بهم الفكر، وعز عليهم النصح.

فكان عليهم أن يشركوا أفراد الشعب، فيما هم مقبلون عليه.

أمر رعاة الكنيسة الكبرى في نجران، فدقت نواقيسها دقات عالية، متلاحقة، فهرع الناس إلى الكنيسة، ليعرفوا السبب الذي من أجله دقت النواقيس.. تسابقوا إليها فرادى وجماعات، حتى ازدحمت بهم الكنيسة.

تسارع أهل نجران إلى الكنيسة، والتقوا بالزعماء، فأخبرهم الزعماء الثلاثة بكتاب رسول الله إليهم، وقرؤوه عليهم، ودارت بين الجميع مناقشات حامية، صاخبة.. بعضهم كان ينادي بالقتال في سبيل نصرة المسيح، وآخرون كانوا يدركون الحقائق، فاقترحوا الجزية، وبين هؤلاء

وهؤلاء من كانوا يعرفون الحقيقة، وأن محمدًا رسول من عند الله، جاء بدعوة الإسلام، فأعلنوا إسلامهم.

في ناحية من الكنيسة، كان يعيش شيخ عجوز، تدلت لحيته على صدره.. كان يعرفه الجميع، إنه على علم بالإنجيل..

همس الشيخ في أذن الأسقف أبي حارثة.

- يا أبا حارثة.. ربما يجهل العامة الحقيقة.. ولكنك تعلم أن إنجيل المسيح عيسى بشر برسول يأتي من بعده، وما أحسبه إلا أن هذا الرسول هو محمد الذي بعث إليكم بكتابه ومن الخير لكم أن تتبعوه، فسيظهر دينه.

وبين الحيرة والتردد، والشك واليقين، والخوف والأمل.. اتفق الزعماء الثلاثة أن يغادروا نجران، ويذهبوا إلى المدينة المنورة، ليلتقوا بمحمد؛ ليعرفوا مزيدًا من الحقائق.

(٣)

اتجه الزعماء الثلاثة، ومعهم رابعهم، هو جبار بن فيض الحارثي، وكان معروفًا بحكمته ورجاحة عقله.

لما اقترب رجال نجران من المدينة المنورة، خلعوا عنهم ثياب السفر الموشحة بالتراب والرمال والعرق، ولبسوا ملابس من حرير، كانوا قد استعدوا بها لهذا اللقاء، وملأوا أصابعهم بخواتم من الذهب، تلمع في أيديهم.. صورة حسبوها تعظيمًا لمن سيلقونه، أو لعلها كانت صورة تعلن عن ثرائهم.

ورآهم الرسول يقبلون نحوه، وهم على هذه الصور، فرفض مقابلتهم، وأشاح بوجهه عنهم، مما أثار دهشتهم، وضاعف حيرتهم، وهم الذين قطعوا طريقًا طويلاً، هيأوا أنفسهم لهذا اللقاء.

التقى زعماء نجران بعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وسألوهم عن السبب الذي من أجله رفض الرسول لقاءهم.

ودهش الزعماء الثلاثة حينما علموا الحقيقة:

إن الرسول رفض لقاءهم لأنهم كانوا يلبسون ملابس من حرير، ويتحلون بالخواتم الذهبية في أصابعهم.. وهذا أمر يرفضه الإسلام، ويحرمه.

خلع الزعماء خواتيم الذهب من أصابعهم.. ولبسوا ملابس ليست من حرير، واتجهوا إلى رسول الله، فرحب بهم، وأوسع لهم مكانًا في مجلسه، واستمع لما يقولون.

قال رجال نجران للرسول:

- يا رسول الله.. ماذا تقول عن عيسى ابن مريم؟

قرأ الرسول عليهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران: ٥٩].

دهش الجميع مما يسمعون، بينما استمر الرسول يقرأ باقي الآيات:

- ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ**

الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ۞ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٠- ٦٤].

كانت الآيات تحمل كثيرًا من المعاني والحقائق التي أدهشت زعماء نجران، فعيسى مثل آدم في قدرة الله على خلقهما.. آدم ليس إلهًا، وبالتالي فليس عيسى إلهًا كما يدعي بعض المسيحيين، آدم خلق من غير أب أو أم، وعيسى خلق من غير أب.. معجزة من الله لليهود الذين كفروا بربهم، واتبعوا غواية الرومان.

والله في القرآن الكريم يدعو رسوله والناس إلى عبادة الله وحده.

فكر زعماء نجران أن يباهلوا[1] رسول الله ويناقشوه ويحاوروه، ليتبينوا كثيرًا من الحقائق، وليعرفوا إن كان محمد صادقًا في دينه ونبيًا حقًا، أم مدعيًا كاذبًا.

لكنهم أحسوا إن فعلوا ذلك لن ينجحوا، وسيصيبهم الفشل، وليس من الخير لهم مباهلته.

هكذا أحس زعماء نجران بأن الرسول صادق في دعوته، لأنهم هابوا مناقشته أو محاورته أو مباهلته.

---

(١) المباهلة: صورة من صور النقاش والحوار بين طائفتين.. كل منهما تؤكد حقيقة الرأي الذي تؤمن به، وتثبت أنها على حق، وأن الطرف الآخر خطأ، ومن خلال هذه المباهلة تتضح الحقيقة ومن الطائفة التي تقوم على الحق.

(٤)

وأخيرًا استقر رأي زعماء نجران على أن محمدًا رسول من عند الله، ولكنهم استمروا على مسيحيتهم.

وكتب الرسول مع رجال نجران عهدًا.. هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي

إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم، وأهل بيعهم، ورقيقهم وملتهم وسوقتهم، وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله، لا يغُير أسقف من أساقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، لا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه على ذلك، جوار الله ورسوله، أبدا ما نصحوا وأصلحوا عليهم، غير منقلبين بظالم ولا ظالمين[١].

ثم استمر العهد في تحديد حق الإسلام في الثمار والفضة والذهب.. وغيرهم مما يتعلق بالنواحي الاقتصادية.

(٥)

عاد وفد نجران إلى مدينتهم، وأخبروا الناس بمصالحتهم النبي ﷺ، وقصوا على الناس ما جرى بينهم وبين الرسول ﷺ.

---

(١) راجع كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي ص١٧٩، وكتاب الرسول المبلغ ص٧٦، وزاد المعاد ج٣ ص٥٥٧.

في هذا الموقف أعلن كثير من الناس إسلامهم، سعداء بالدين الجديد.

وتتابعت زيارات وفود أهل نجران إلى المدينة المنورة، يلتقون مع الرسول في المسجد، وكانوا يشاركون الرسول والمسلمين الصلاة.

لأن أهل نجران كانوا يريدون المزيد من معرفة الحقائق عن الإسلام، لذلك قالوا للرسول:

- يا رسول الله.. ابعث معنا رجلاً أمينًا، ليفقهنا في ديننا.

فاختار الرسول الصحابي الجليل أبا عبيدة بن الجراح(١) الذي صحب رجال نجران إلى وطنهم.

نجح أبو عبيدة في مهمته، فازدادت الصلة بين المدينة المنورة ونجران، وازداد شعب نجران تفهمًا للإسلام ومبادئه، وتبعه علي بن أبي طالب الذي عمل على نشر الإسلام في باقي ربوع نجران وما حولها، ثم المغيرة بن شعبة، ثم خالد بن الوليد.

واستمرت الصلة قوية بين المسلمين ونصارى نجران الذين تصالحوا على دفع الجزية، واستطاع الرسول أن يزيل من نفوس أهل نجران ما علق فيها من معلومات خاطئة عن ألوهية المسيح، ويبين لهم حقيقة مريم أم المسيح، وأنها ليست أخت موسى وهارون عليهما السلام كما كان يعتقد

---

(١) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر.. أسلم مبكرًا مع عبد الرحمن بن عوف، وهاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة. آخى الرسول بينه وبين محمد بن مسلمة، شهد معركتي بدر وأحد وثبت يومها مع رسول الله، كما شهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. مات سنة ١٨هـ في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب رحمه الله. [طبقات ابن سعد ج٣، ص٣٧٩].

بعضهم، ففارق الزمن بين موسى وعيسى كبير.

وعمل الصحابة على نشر دعوة الإسلام في نجران.. حتى حل الإسلام محل المسيحية في كثير من دورها، وامتد إلى ما حولها.

رحم الله أبو عبيدة بن الجراح بقدر ما حققه وما بذله من جهد في نشر دعوة الإسلام في نجران وما حولها، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة في ربوع شبه الجزيرة العربية.

شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ الأَسَدِيّ

سفير رسول الله

إلى جَبَلَة بْنِ الأَيْهَمِ ملك الغساسنة

(١)

مضت الأحداث في المدينة المنورة كما شاء الله، وكما تمناها رسوله والمسلمون، لولا ما أحزن الجميع حين استشهد ثلاثة من قادة المسلمين في معركة مؤتة سنة ٨هـ، ثم كان الله ناصرًا للمسلمين يوم الفتح الأكبر.. يوم فتح المسلمون مكة، وطهروا الكعبة والمسجد الحرام من الأصنام، كان ذلك في رمضان سنة ٨هـ.

خلال تلك الأحداث، مات الملك الحارث الغساني ملك الغساسنة، وخلفه جَبَلة بن الأيهم[١].

علم الرسول بما حدث من تطورات في إمارة الغساسنة.

لا شك أن جبلة بن الأيهم خليفة الحارث، ووريثه في مملكته، كان أكثر فطنة وحكمة وعظة. عرف الرسول أن جبلة بن الأيهم لم يشترك مع الرومان في معركة مؤتة، لعله اتعظ بما حدث لسلفه الحارث.

(٢)

مرة ثانية. في منتصف سنة ٨هـ، بعث الرسول شجاع بن وهب إلى بصرى، للقاء ملك الغساسنة.. جبلة بن الأيهم.

(١) جبلة بن الأيهم: يعتبره مؤرخو العرب آخر ملوك الغساسنة، اشترك مع الرومان في معركة اليرموك في رجب سنة ١٥هـ. أسلم، ولكنه ارتد عن الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ﷺ (المنجد ص١٣١).

لم يجد شجاع صعوبة كبيرة في لقائه مع الأيهم، لعل مري المسلم رئيس الديوان الملكي ساعده في ذلك، وهيأ جبلة بن الأيهم للقاء شجاع بن وهب.

ولعل جبلة بن الأيهم كان على علم بما حدث بين سلفه الحارث بن شمر وشجاع بن وهب في زيارته السابقة.

ولا شك أنه أدرك ما أصاب الحارث جزاء سوء موقفه من الإسلام ورسوله وكتابه الذي مزقه.

حينما التقى شجاع بن وهب بجبلة بن الأيهم، حيَّاه بتحية الإسلام، وأخبره شجاع أنه رسول من عند رسول الله محمد بن عبد الله رسول المسلمين، وأن الرسول يدعوه إلى الإسلام، لينال خير الدنيا.. يبقى الله ملكه، وينال ثواب الآخرة، يدخله الله الجنة التي أعدها للمتقين من عباده.

قال شجاع بن وهب لجبلة بن الأيهم:

- يا سيدي الملك.. اعلم أن قومك في المدينة المنورة من الأوس والخزرج[1]، هم الذين آووا رسول الله وأصحابه الذين آمنوا بدعوته ودينه، ورحبوا به ضيفًا عزيزًا عليهم، وهم الذين آزروه ونصروه في مواجهة أعدائه من قريش واليهود.

قال جبلة بن الأيهم:

---

(١) المعروف تاريخيًا أن قبيلتي الأوس والخزرج أصلهم من اليمن، وأن الغساسنة أيضًا من اليمن، هاجروا إلى يثرب (المدينة المنورة) بعد تحطيم سد مأرب.

- لكني أدين بالنصرانية، وهي ديانة سماوية، جاء بها المسيح عيسى رسولاً من عند الله الذي أنزل عليه إنجيله المقدس.

وجدها شجاع فرصة، فقال لجبلة بن الأيهم:

- وإنجيل عيسى الذي تؤمن به كتابًا من عند الله، بشَّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد هو محمد بن عبد الله، ولقد أقر بالإسلام كثير من نصارى الروم والشام منهم القسيس صفاقر في إيليا، والنجاشي في الحبشة.

قال جبلة بن الأيهم: فما حاجتي إلى دين الإسلام؟

قال شجاع بن وهب:

- تنضم إلى قوة المسلمين الذين يزدادون يومًا بعد يوم، ويهابك الروم في الدنيا، وتدخل الجنة في الآخرة، وبذلك تكون قد جمعت بين خيري الدنيا والآخرة.

كان جبلة بن الأيهم ينصت باهتمام إلى ما يقوله شجاع، يتحسس كلماته، وقد بدت عليه مظاهر الاقتناع، فقال:

- لقد كان محمد على حق، حين قاتل قريش عبدة الأصنام والأوثان، وقاتل اليهود أشد أعدائه، ولكنه كان مسالمًا للمسيحيين، وأكثر تقربًا ومحبة لهم، ولأني مسيحي، فإني أثق في حكمة محمد، وصدق دعوته، ولذلك رفضت دعوة هرقل للاشتراك في جيشه، حين كان يقاتل المسلمين في معركة مؤتة، وكنت حزينًا لما أصاب قادة المسلمين فيها.

اعترف جبلة بن الإيهم بالإسلام، ولكن لم يعلن إسلامه، ولم يدع رعيته إلى الإسلام[١].

(٣)

انتهت مهمة شجاع بن وهب في أرض الغساسنة، فعاد إلى المدينة المنورة، ليخبر الرسول بما حدث بينه وبين جبلة بن الأيهم، ولتستمر به الحياة بجوار رسول الله، يشاركه الجهاد مع المسلمين، حتى توفى رسول الله ﷺ، وخلفه أبو بكر الصديق.

وحين ارتد بعض المسلمين عن الإسلام، ومنهم مسيلمة الكذاب، كوَّن أبو بكر الجيوش، لمحاربة هؤلاء المرتدين.. كان منهم جيش بقيادة خالد بن الوليد، وكان شجاع بن وهب أحد رجال هذا الجيش، وأبلى بلاءً حسنًا في قتال مسيلمة الكذاب ورجاله، حيث استشهد شجاع بن وهب في

---

(١) استمر جبلة بن الأيهم على مسيحيته، ولم يعلن إسلامه، فلما كان عهد عمر بن الخطاب، وقام النزاع بين المسلمين والرومان.. اشترك جبلة بن الأيهم في جيش الرومان في معركة اليرموك سنة ١٥هـ.
ولما انتصر المسلمون، وانهزم الروم، التقى جبلة بن الأيهم بعمر بن الخطاب، وأعلن له إسلامه، لكنه بقى على حبه للعظمة والتعالي على غيره من الناس، ظهر ذلك، حين حدث خلاف بينه وبين أحد رجال قبيلة مُزينة، يبدو أن هذا كان في القصة المعروفة التي وقعت في موسم الحج، حين داس أحد الأعراب على قدم جبلة بن الأيهم أثناء الطواف حول الكعبة، فلطم جبلة بن الأيهم الأعرابي على عينيه، فاشتكى الأعرابي إلى عمر بن الخطاب، فأمر عمر أن يلطم الأعرابي جبلة بن الأيهم على عينيه، لكن هذا لم يعجب جبلة بن الأيهم وغضب.. كيف يضربه أعرابي على عينيه وهو ملك، واعتبر هذا إهانة لكرامته، فهرب إلى الشام، وارتد عن الإسلام، وعاد إلى مسيحيته في القسطنطينية، حتى مات كافرًا.

المعركة سنة ١٢هـ دفاعًا عن الإسلام.

رحم الله شجاع بن وهب، أحد أبطال المسلمين في حياة الرسول وأبي بكر والذي كان سفيرًا لرسول الله إلى ملكي الغساسنة: الحارث بن أبي شمر، ومن بعده جبلة بن الأيهم، وكفاه فخرًا أنه استشهد في سبيل الله.

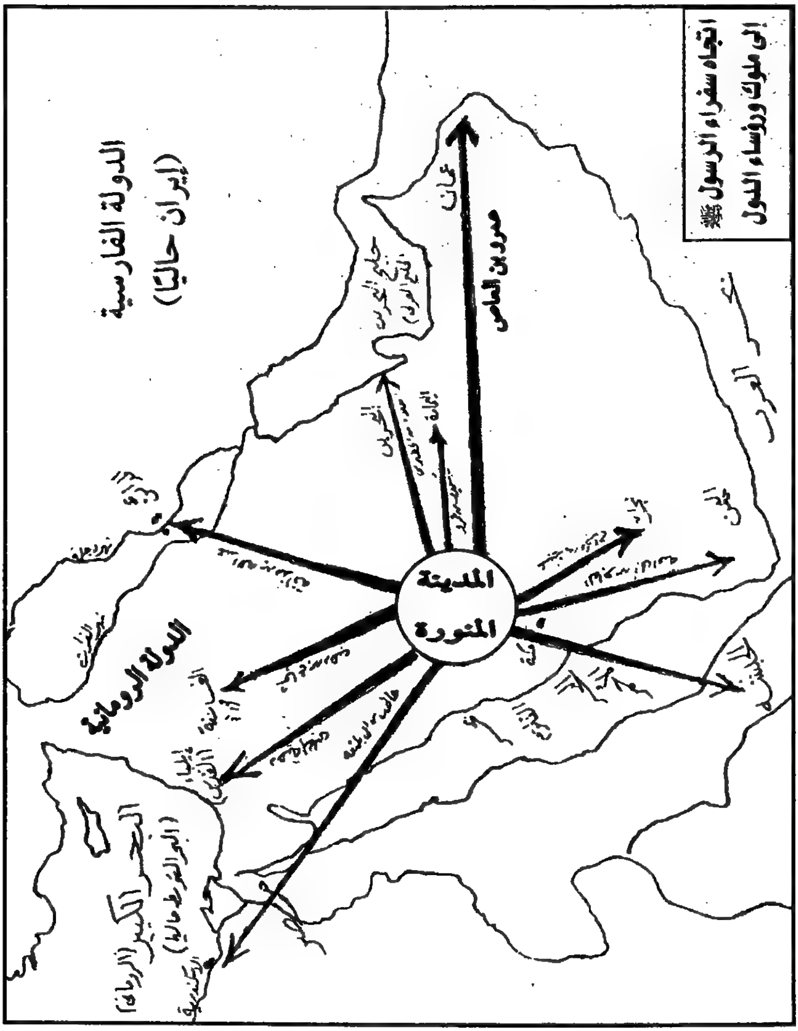
اتجاه سفراء الرسول ﷺ
إلى ملوك ورؤساء الدول
المدينة المنورة
الدولة الفارسية
(إيران حاليًا)
الدولة الرومانية
عمرو بن العاص
عمان
البحرين
اليمن
بحر العرب
البحر الكبير (الروم)
(البحر المتوسط حاليًا)

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم

رقم	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
١	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	مكتبة مصر بالقاهرة
٢	الاستيعاب في أسماء الأصحاب	ابن عبد البر	مكتبة مصر بالقاهرة
٣	مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي	محمد حميد	دار الرشاد بيروت
٤	إعلام السائلين	محمد أحمد بن طولون	مؤسسة الرسالة
٥	الرسول المبلغ	دكتور صلاح الخالدي	دار القلم بدمشق
٦	الطبقات الكبرى	ابن سعد بن منيع الزهري	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٧	تاريخ الطبري	أبو جعفر بن جرير الطبري	المكتبة التوفيقية بالقاهرة
٨	البداية والنهاية	ابن كثير	دار الإيمان- المنصورة
٩	سفراء الرسول	عبد العزيز الشناوي	مكتبة الإيمان -المنصورة
١٠	السيرة النبوية	ابن هشام	ــــ
١١	زاد المعاد في هدى خير العباد	ابن الجوزية	ــــ
١٢	الأطلس التاريخي للسيرة النبوية	سامي بن عبد الله الغلوت	دار العبيكان بالسعودية

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول: الإسلام دعوة عالمية	٥
الفصل الثاني: سفراء بعثهم الرسول في العهد المكي	١٥
جعفر بن أبي طالب: سفير الرسول إلى نجاشي الحبشة	١٧
مصعب بن عمير: سفير الرسول إلى أهل يثرب (المدينة المنورة)	٢٨
الفصل الثالث: سفراء الرسول إلى القبائل في شبه الجزيرة العربية	٣٩
الطفيل بن عمرو الدوسي: سفير الرسول إلى قبيلة دوس	٤١
عاصم بن ثابت: أحد سفراء الرسول إلى بني هذيل	٥١
خبيب بن عدي: ثاني سفراء الرسول إلى بني هذيل	٥٦
عامر بن فهيرة: سفير الرسول إلى قبيلتي عضل والقارة	٦٣

الموضوع	الصفحة
نعيم بن مسعود الأشجعي: سفير الرسول إلى قريش وبني قريظة	٦٩
عبد الرحمن بن عوف: سفير الرسول إلى ملك دومة الجندل	٨١
عروة بن مسعود الثقفي: سفير رسول الله إلى بني ثقيف	٨٥
حبيب بن زيد: سفير الرسول إلى مسيلمة الكذاب في قبيلة بني حنيفة	٩١
الفصل الرابع: سفراء الرسول إلى ملوك ورؤساء الدول	١٠٣
دحية بن خليفة الكلبي: سفير الرسول إلى هرقل إمبراطور الروم	١٠٧
عبد الله بن حذافة السهمي: سفير الرسول إلى كسرى ملك الفرس	١٢٥
حاطب بن أبي بلتعة: سفير الرسول إلى مقوقس الإسكندرية بمصر	١٤٠
عمرو بن أمية الضمري: سفير الرسول إلى نجاشي الحبشة	١٥٥
العلاء بن الحضرمي: سفير الرسول إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين..	١٦٥
عمرو بن العاص: سفير الرسول إلى ابني الجلندي ملكي عمان	١٧٤
سليط بن عمرو العامري: سفير الرسول إلى هوذة الحنفي ملك اليمامة	١٨٨

الموضــــوع	الصفحة
شجاع بن وهب الأسدي: سفير الرسول إلى الحارث الغساني ..	١٩٧
المهاجر بن أبي أمية: سفير الرسول إلى الحارث الحميري ملك اليمن	٢٠٦
أبو عبيدة بن الجراح: سفير الرسول إلى نصارى نجران	٢١١
شجاع بن وهب: سفير الرسول إلى جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة	٢٢١
خريطة لاتجاه سفراء الرسول إلى ملوك ورؤساء الدول	٢٢٧
مراجع الكتاب	٢٢٨
فهرس الكتاب	٢٢٩

* * *